
3
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
صفر.. صفر.. سبعة
Looloo
www.helmelarab.net

مقدمة

اسمها (عبير)

لم يكن لها نصيب من اسمها .. فهي تفتقر إلى الجمال الذي يوحي به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، بارزة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أي شيء وكل شيء ..

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح لأن تكون بطلتنا .. أو بطلة أي شخص سواها ..

هي لا تكسب الشر، ولا تعرف المصارعة ، ولا تقود سيارات (الرالي)، وليست عضوًا في فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) – برغم ذلك – تملك أرق روح عرفتها في حياتي .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالًا يسع المحيط بكل ما فيه ..

لهذا أرى أن (عبير) ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما .

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا القادمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونشفق عليها وترتجف قرقًا إذا ما حاق بها مكروه ..

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن في مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التي خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) .

(فانتازيا) أرض الأحلام التي لا تنتهي ..

(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح

(فانتازيا) جنة عاشقي الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا ونمضي في القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوي ، والبخار يتصاعد حول قاطرته

ها هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ...

لقد حان موعدنا مع الأحلام في (فانتازيا) ..

١ – أدغال الواقع ..

شهران انقضيا على (عبير) ..

شهران انقضيا على مغامرتها الأخيرة في (فانتازيا) ، مع كونت (دراكيولا) والبارون (فان هلسنج) ومصاصي الدماء ..

شهران انقضيا على تحولها هي نفسها إلى مصاصة الدماء ..

كانت مغامرة رهيبة ..

لكنها كانت تحمل في ثناياها ذلك المذاق الحريف المحبب .. مذاق الفرار من الواقع ، وإطلاق العنان لأكثر الخيالات جموحًا .. وأكثر الأحلام لا معقولية ..

والآن تعود (عبير) من جديد إلى أدغال الواقع ..

* * *

– (عبير) .. هل تفضلين ثوب الزفاف هذا أم ذا ؟

ثوبان رخيصا الثمن فجا الذوق ، والأسوأ أنها ستستأجر الثوب الذي تختاره .. ولها أن تتصور كل العرق والبراغيث والأوبئة الجلدية التي تركتها العروس السابقة في هذا الثوب ..

في الروايات دائمًا لا يشكل شراء ثوب العرس مشكلة .. لأن الفقر لا وجود له في دنيا الخيال ..

لا فقر .. لا عرق .. لا براغيث ...

* * *

في هذه الآونة راحت تطالع بنهم كل ما يقع في يدها .

ذهبت إلى بائع الكتب العتيقة الذي افترشت كتبه ومجلداته الرصيف ، لولا أنه قد يسخر منها - ومن المؤكد أنه سيفعل - لقالت له :

- أعطني أحلامًا بجنيهين .. ولكن توصَّ بي !

هذا هو عالم الكتب الساحر .. الكتب التي تحملها عبر الزمان والمكان بعيدًا عن هذا الواقع المرير ..

إن (عبير) لم تكن مثقفة .. هي قارئة نهمة لكنها غير مثقفة .. لهذا لم تدر أن الواقع في حد ذاته قد يلهم الأديب أروع أعماله .. ومثالنا على هذا (ماكسيم جوركي) أو (الطيب صالح) وسواهما من الأدباء الذين عبروا عن بؤس الواقع خير تعبير .. فكان أن أجادوا وصنعوا عالمهم الخاص ..

- لكن (عبير) لم تكن تهتم كثيرًا بهذا الطراز من الأدب النفس .. (الواقعية الاشتراكية) كما يحلو للنقاد أن يسموه أحيانًا ..

كانت تصبو إلى القصص التي تتكلم عن عوالم أخرى ، وأشخاص آخرين .. فهي لا تقرأ كي تعيش تعاستها مرتين ..

وبخمسين قرشًا كانت تبتاع بعض الروايات ذات العناوين المسلية .. روايات تآكلت أطرافها واتسخت أغلفتها وبليت أوراقها ..

وفي الصفحة الأولى تجد دائمًا اسم أحدهم .. علي غزار : « سيد عبد الرحيم بسيوني - دبلوم صنائع » .

ثم عبارة من ذلك النوع المبتذل الذي يحسبه العامة أدبًا على غزار : « الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان » .

ولا بأس من أبيات شعر ركيك كتبت بقلم رصاص على بطن الغلاف .. لأن : « الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان » كالعادة !

كل هذا كان يثير حنقها إلى حد لا يوصف .

وفي الآونة الأخيرة ابتاعت بعض روايات (جيمس بوند) لكاتب يدعى (إيان فلمنج) .. وكانت تكره (جيمس بوند) منذ قرأت قصة واحدة له في صباها ، ولم تتحمل فكرة الرجل الذي يجيد كل شيء ويفعل كل شيء .

لكنها كانت بحاجة إلى زيادة مخزونها من الخيالات ، حتى إذا ما مرت ثانية بتجربة (دي - جي - ؟) ، كانت الاختيارات أوسع ..

ابتاعت كذلك قصتى خيال علمى ، من النوع الذى يبدو على غلافه رجال خضر من المريخ يلوحون ببنادق الليزر .. على حين تحلق فوق رءوسهم مركبة معقدة غريبة الشكل ..

وبآخر ما تبقى معها ابتاعت إحدى روايات (أرسين لوبين) ، وهى لم تكن قد قرأت شيئا لهذا المدعو (موريس لبـ ...) .. إن الاسم عسير عليها أن تتذكره(*) .. لا يهم ... المهم أنه معها ..

وبينما هى عائدة للدار تتنهد فى حرقة .. وتهمس لنفسها :

ـ لمن أنت يا (شريف) ؟!

* * *

و (شريف) لم يكن بعيدًا ..

ها هو ذا فى شقته الأنيقة يلتف بقميص قصير الأكمام وربطة العنق ، يلوح بيديه فى عصبية ..

وعلى الأريكة يجلس (صفوت) يلوك ـ كالعادة ـ شيئًا ما يأخذه من قرطاس ورقى ، وقد بدت على وجهه ملامح الرفض ..

(*) موريس لبلان

ماذا يقولان ؟ وماسر هذه العصبية ؟

دعونا نقترب منهما لنعرف أكثر ..

يقول (شريف) :

ـ هذا هو قرارى الذى لن أتزحزح عنه ..

ويقول (صفوت) وهو يداعب كرشه البدين بحنان :

ـ أنت مخبول يا صديقى ..أعرف أن العبقرية يخالطها دومًا شىء من خبال .. لكن الأمر مقبول إذا لم يتعد الخبال نوعًا من غرابة الأطوار .. أما والحال كهذا فأنا أقول لك : لا .

يقول (شريف) وهو ينقى ببعض حبات النعناع فى فمه « كان يشعل لفافة تبغ كلما توتر .. أما اليوم فلن يسمح لنفسه سوى بالنعناع » :

ـ قلت لك .. أنا حر ..

ـ والتكافؤ الاجتماعى والطبقى والفكرى !

ـ لا أبالى بكل هذا .. ما دام التكافؤ الروحى قائما

تنهد (صفوت) .. وفك حزامه ليعطى كرشه مزيدًا من الاسترخاء ، وقال فى قنوط :

ـ أنت أذكى منى يا (شريف) .. وتعلم أن الأمر لا يزيد على عقدة ذنب مفرطة تجاهها ..

ثم مط شفتيه فى اشمئزاز .

ـ أو لنقل إنها عقدة (بجماليون)(*) .. أنت صنعت هذه الفتاة وخضعت لك في تجاربك .. لهذا عشت بها حبًا .. لا أكثر ولا أقل .. إنه افتتان المعلم بتلميذته الذكية ..

قال (شريف) وهو يفتح جهاز التليفزيون ، دون مبرر سوى الحاجة لأن ينفث عن عصبيته :

ـ هذا هراء .. أنا أفهم نفسي جيدًا ..

ـ إذن يبقى لنا المنطق (البراجماتي) النفعي .. أنت تريد ذلك لتضمن أن تظل إلى الأبد طوع بنانك .. فأر تجاربك أبديًا رخيصًا في مختبرك ..

ثم فرد أصابعه ليعد عليها ..

ـ أولا : هي لا تملك جمالا من أي نوع .. لا أرى فكرتك عن الجمال ، لكن تلك الفتاة لا تتمشى مع أية مقاييس للجمال في العالم حتى في (نيام نيام) ..

ثانيًا : هي لا تملك مالا ..

ثالثًا : ليست أسرتها بأرقى أو أعرق الأسر في هذا البلد ..

رابعًا : هي ليست ذكية ..

خامسًا : ....

(*) (بجماليون) ـ في الأساطير الإغريقية ـ هو مثال صنع تمثالا ثم هام به حبًا إلى درجة المرض

وتوقف عند الإصبع الخامس باحثًا عن صفة خامسة لا تملكها (عبير) .. فلم يجد .. من ثمّ عاد يلتهم ما بداخل الكيس في عصبية ..

قال (شريف) وهو يغلق التليفزيون ، دون مبرر سوى الحاجة لأن يفعل شيئًا ما :

ـ أراك تحدثت عن كل شيء ولم تذكر روحها .. إنها هي ملكة جمال الأرواح في العالم .. طاهرة بريئة شامخة .. شغوف بالأحلام .. إنها تنتمي إلى عالم آخر .. ومشكلتها أن روحها اختارت جسدًا غير مناسب ، في زمن غير مناسب ، في مكان غير مناسب ..

لهنيهة ظل (صفوت) يرمقه في غلّ عاجزا عن إضافة شيء .. ثم قال في ضجر :

ـ ليكن .. إذا كنت تريد ذلك .. اذهب وتزوجها !

* * *

ولم يكذب (شريف) خبرًا ..

لو كان فهم النفس هينًا إلى هذا الحد لفهم نفسه ، لكنه يعرف على الأقل أن الأسود والأبيض لا وجود لهما في النفس البشرية وإنما (الرمادي العظيم) ..

في النفس البشرية لا يوجد عامل واحد ، ولكن عدة عوامل .

كانت رغبته في أن يتزوج (عبير) هي خليط من

كل ما قاله (صفوت) وكل ما قاله هو ..

١ - يريد أن يتزوجها لأنه يشعر بعقدة الذنب نحوها .

٢ - يريد ذلك لأنه يشعر نحوها بعقدة (بجماليون) .

٣ - يريد أن يتزوجها لأنها ستكون خامة دائمة لتجاربه ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة ليضمن ألا تفلت منه ..

٤ - يريد ذلك لأنها روح صافية عذبة .

٥ - يريد أن يتزوجها لأنه يحب ابتسامتها ووجهها المريح

٦ - يريد ذلك لأن هذا سيسعدها حتمًا .. وهو راغب حقًا في إسعاد هذه الروح التي تعيش حياة قحلة بائسة .

٧ - يريد ذلك لأنها بالتأكيد أقل إزعاجا وثرثرة وميلا للتحكم من زوجته السابقة ، وواحدة مثل (عبير) تعرف حتمًا كيف تحترم رجلها وتتبعه .. تتبعه ولا تصر على أن يتبعها هو .. تطيعه دون أن تصر على أن يطيعها هو .

الأسباب كثيرة كما ترون ومعقدة ..

وكما قلنا آنفا .. المجد للرمادي العظيم .. إن نفس (شريف) نحوي - مثلنا جميعًا - أسمى طاقات العطاء ، وأبشع نزعات الأنانية والتفعية

لهذا دعونا من الثرثرة التي لا طائل من ورائها ، وتعالوا معي إلى حيث يجلس مع شقيق (عبير) في الصالون الصغير الرث .. الذي هو صالون وغرفة نوم ومعيشة في آن واحد ..

كانت المفاجأة مذهلة لشقيق (عبير) .. واحتاج بعض الوقت كي يستوعب أن هذا المهندس الوسيم الثري يريد أن يناسبه .. وفي من ؟ في (عبير) بالذات ..

لكن الريبة استبدت بنفسه ، وشعر أن هناك ألعوبة ما يمارسها هذا (الأفندي) المتحذلق المتأنق كالفتيات ..

برغم هذا بدا متحفظا أقرب إلى التهذيب .. ووعد (شريف) بالرد عليه قريبًا .. ثم اختلى بالأم يناقش معها هذا التغير غير المحسوب في مجرى الأمور ..

لكن الحقائق تنتصر في النهاية ..

والحقيقة التي لا تدحض هنا هي أن (شريف) عريس لا يرفض بكل المقاييس ، دعك من أن الفتاة تكاد أن تجن فرحًا .. ومن المؤكد أن (شريف) لا غبار عليه فيما عدا ما كان من أمر زيجته السابقة ، وتجربته التي كانت تودي بحياة الفتاة يومًا ما ..

المشكلة الأولى الآن هي أن الفتاة نصف مرتبطة بصديق عزيز لأخيها .. ، بل إن استعدادات الزفاف قد بدأت ..

فكيف يمكن هدم كل هذا من أجل مهندس مدلل يريد أن يتزوج ؟

* * *

كان كل هذا يدور ويُناقش ، حين قرعت (عبير) باب (شريف) فى ذلك المساء ..

وفتح (شريف) الباب ليجدها أمامه ..

ـ (عبير) .. أنا ..

ـ أعرف ما تريد قوله ..

ودون كلمة أخرى مشت عبر الردهة قاصدة الغرفة التى وضع فيها الجهاز ، وبصوت لا تعبير فيه قالت :

ـ أريد أن أعود لهناك .

ـ ليكن .. ولكن ماذا عن أخيك و ..؟

ـ إنه يفكر .. يفكر طيلة الوقت ، لكنه لم يقل شيئًا بعد .

قالتها وهى تجلس على المقعد ، وتضع الأقطاب على جمجمتها .. ثم تردف وهى تسترخى إلى الوراء :

ـ والآن .. أعطنى حلمًا جديدًا ..

* * *

وكانت هذه ـ كالعادة ـ هى البداية الحقيقية لقصتنا .

* * *

٢ ـ صفر .. صفر .. سبعة ..

(شريف) يداعب أزرار الجهاز بكامله .. ومن بعيد ـ من جهاز الستريو ـ ينبعث صوت أغنية كان يسمعها حين جاءت (عبير) ..

الأغنية لـ (جانيس جوبلن) التى كانوا فى الستينات يسمونها (راهبة البوب) .. تقول كلماتها :

وحين تطول لياليك ، وتقفز أيامك ..

حين تحسب الحب حقًا للأقوياء والمحظوظين فقط .

عندئذ تذكّر ...

أنه فى الشتاء .. وتحت الثلوج المريرة ..

ترقد البذرة التى ـ مع عناية الشمس ..

تصبح زهرة فى الربيع ..

نعم يا (عبير) .. لو أنك فهمت كلمات هذه الأغنية ، لعرفت أن الحب ليس حكرًا على الأقوياء والمحظوظين .. الضعفاء والتعساء ومعدومو الجمال يمكنهم أيضًا أن يُحبوا ويُحَبوا ..

عندئذ تغدو البذرة زهرة ..

* * *

قال (المرشد) لـ (عبير) وهو يركب القطار



من بعيد نرى بطًا يتكلم ويمشي على قدمين .. وفئرانًا ترتدي السراويل ، وعالمًا غريبًا

جوارها ، ومشاهد (فانتازيا) تتوالى على الجانبين :

- والآن يا فتاة .. تك تك ! هل لديك اختيار معين ؟

صمتت (عبير) وراحت تتأمل المشاهد حولها ..

من بعيد نرى بطًا يتكلم ويمشي على قدمين .. وفئرانًا ترتدي السراويل ، وعالمًا غريبًا كأنما هو مرسوم بالكاريكاتير ..

قال (المرشد) وهو يداعب قلمه كالعادة :

- تك تك تك !.. هذا هو عالم (ديزني) الرائع .. مدينة البط .. (ميكي ماوس) .. (دونالد دك) .. العم (سكروج) ..

- (سكروج) ؟

- نعم .. في (فرنسا) يسمونه العم (بيكسو) .. وفي مصر تسمونه عم (دهب) .

- حتى هؤلاء في (فانتازيا) ؟

- ولم لا ؟.. كل الشخصيات والأماكن التي في خيالك لها وجود مادي هنا .. تك تك !..

لكنها لم ترغب في رؤية عالم (ديزني) .. ليس اليوم .. ربما بعد أن تفرغ من الرؤى الأكثر إلحاحًا بالنسبة لها ... وفجأة تذكرت شيئًا .. هي لم تسمع قط كلمة (سكروج) أو (بيكسو) .. فكيف يعرفهما (المرشد) برغم أنه هو نفسه وليد خيالها وخبراتها ؟

سألته عن تفسير ذلك ، فقال دون اكتراث :

ـ بالتأكيد أنت تعرفين هذه المعلومة .. لكنك نسيت .

ـ هذا غريب ..

وفجأة رأت ذلك المشهد .

حاملة طائرات عملاقة تحلق ـ بما عليها ـ فوق الصحراء .. مبتعدة تجاه الأفق الغربي ... ولم نجد وقتا لتفهم كيف تطير هذه الأعجوبة ..

ـ ما هذا أيها (المرشد) ؟

ـ آه !.. هذا المستر (بوند) في إحدى مغامراته .. ظنت إنك لا تميلين إليه كثيرا ..

في هذه المرة صاحت (عبير) :

ـ نعم .. أنا أمقته .. لكني لا أمانع في أن أعيش مغامرة معه ..

ـ ليكن .. إن أحلامك أوامر يا صغيرة ..

ومد يده يجذب حبل إيقاف القطار .

* * *

فجأة وجدت (عبير) أمامها سيارة (سبورت) حمراء .

وسمعت (المرشد) يقول لها وهو يداعب القلم :

ـ هيا .. اتخذي مكانك خلف المقود .. قصتك تبدأ ها هنا ..

ـ لكني لا أعرف كيف

ـ ألن تتعلمي الدرس أبدا ؟.. كل شيء ممكن في (فانتازيا) .. أنت الآن العميلة السوفيتية (ناتاليا أولجانوفا) التي أرسلها جهاز المخابرات (كي ـ جي ـ بي) إلى هنا لمهمة شديدة التعقيد ..

صعدت (عبير) إلى السيارة وأمسكت بعجلة القيادة .

هذا غريب !.. إنها تعرف كيف تقود .. وبمهارة غير عادية .. نظرت إلى جسدها فأدركت أنها ترتدي ثوبا ضيقا .. وحذاء عالي الكعبين .. وأدركت من تطاير خصلات شعرها أمام عينيها أنها شقراء !

نظرت في مرآة السيارة لترى وجها بارع الحسن وعينين زرقاوين غامضتين .. كما أدركت كذلك أن هناك من يلاحقها !

الطريق الذي تندفع فيه السيارة هو طريق متعرج تحفه الأشجار من الجانبين .. متعرج بشكل مروع .. لكن براعتها في القيادة مروعة هي الأخرى ..

الفرامل تئن .. السيارة التي تتبعها سوداء من نوع (الشيفروليه) ذات زجاج قاتم فلا ترى من يقودها ..

لكن الإجابة على تساؤلها كانت سريعة جدا .. إذ سرعان ما برز رجل ضخم الجثة أصلع الرأس من فتحة

التهوية فى سقف العربة ، وهو يحمل مدفعا هائل الحجم .. و ..

بووووم !

انفجرت القذيفة على بعد متر من يمين السيارة .. يا للعنة !.. إنهم يحاولون قتلى .. من هم ؟ وماذا يريدون ؟

للأسف لا يسمح الوقت بالإجابة عن هذه الأسئلة ، لأن قذيفة أخرى تنفجر أمام السيارة .. العجلات تئن

يدا (عبير) تتقلصان على عجلة القيادة ، ومن حين لآخر تمسك بذراع السرعات .. بوووم ! هذه ثالثة !

الجديد هنا هو وابل من طلقات الرصاص ينهمر آتيا من خلفها .. تحاول التملص .. تسير فى خط متعرج ..

بووووم ! لم يزل هذا الأخ المتحمس يواصل (قصفها) بمدفعيته .. اللعنة .. لابد من مخرج ..

وهنا ـ وقبل أن تفهم شيئا ـ وجدت من يثب على السيارة من أعلى ليتربع على المقعد جوارها ..

أجفلت .. والتفتت لترى من هو .. فوجدته رجلا وسيما يرتدى ثياب السهرة كاملة ، ويضع ربطة عنق (بابيون) ..

ـ مـ .. من أنت ؟

فى هدوء ـ برغم القذائف المنهمرة من حولهما ـ

أخرج علبة سجائر ذهبية وقداحة ثمينة .. وأشعل لفافة تبغ .. ثم قال :

ـ اسمى هو (بوند) .. (جيمس بوند) ..

وغمز لها بعينه وأصلح من ربطة عنقه .. وأردف :

ـ فى خدمتك يا آنستى !

صاحت فى هستيريا وهى ترى قذيفة أخرى تهوى جوار السيارة :

ـ هلا فعلت شيئا ؟ إننا سنموووووت !

ـ أوه ! صبرا يا آنسة .. لا داعى للعجلة .. إننى أرى وراء هذا المدفع خصمنا الرومانى العتيد (تاركوفسكى) .. ومن حسن حظنا أنه لا يجيد التصويب .. والآن لنر ما يمكن عمله !

ـ من هو (تاركوفسكى) هذا ؟

ـ أوه .. إنه قاتل أجير يعمل لدى خصومى .. أعتقد أنهم سيقضون علينا لا محالة ..

ثم أمسك بيد (عبير) فى قوة .. وهتف :

ـ تشبثى جيدا يا آنسة .. فسوف نذهب فى رحلة قصيرة ..

وقبل أن تفهم ما يحدث كان قد أدار مقود السيارة بعنف إلى اليسار ... فصارت السيارة تسد الطريق بالعرض أمام سيارة المطاردين

وشعرت بأنها ترتفع .. ترتفع ببطء لأعلى ..

وحين نظرت إلى قدميه أدركت أن كعبي حذاءيه تحولا إلى محركين نفاثين يقذفان اللهب . وبالتالي أمكنه أن يحلق فوق السيارة ، وهو يجذبها خلفه متدلية من معصمه ..

ودار بها نصف دورة في الهواء – في اللحظة التي ارتطمت بها سيارة المطاردين بالسيارة (السبورت) الحمراء ..

وانفجرت السيارتان ، وتناثرت الشظايا الملتهبة في كل مكان وفوق دائرة الدخان الأسود المريعة حلق بها (بوند) ، حتى إذا ابتعدا قليلا .. ضغط على زر في حزامه فشرع يهبط أرضًا ببطء شديد .. حتى استقرت قدماه على الكلأ ..

وقفت تنظر إلى عينيه ، ولم تقل شيئًا ..

بالضبط كما تخيلته وهي تقرأ قصص (إيان فلمنج) ، الذي كان هو نفسه عميلاً للمخابرات البريطانية ..

وسيم إلى حد مذهل – (جيمس بوند) لا (فلمنج) – تنسكب خصلات شعره الأسود الفاحم على جبينه الوضاء .

تجعيدتان على ركن فمه توحيان بالمرح .. وتوحيان كذلك بالقسوة ..

ذقن صلبة مشقوقة ، تنم عن قوة شكيمته ، وعينان زرقاوان فيهما سخرية .. وفيهما توحش .. أدركت أن صاحب هاتين العينين هو – برغم تظاهره باللطف – وحش لا يرحم ، سواء أعداءه أو النساء .. فهو يعبث بعواطف الأخيرات عبثًا .. ويتودد إليهن .. لا عن إعجاب أو حب .. بل من منطلق غريزة أشبه بغريزة الصيد ..!

قال لها وقد لاحظ أنها أطالت تأمله :

– أرى أن سحر (بوند) الطبيعي قد بدأ يعمل !

– لك أن تراهن على ذلك !

وهنا شعرت بدهشة .. إن هذا التعبير « لك أن تراهن على ذلك » ليس من التعبيرات المعتادة على لسانها ، ثم أدركت أنها هنا تلعب دور المرأة الغامضة اللعوب .. وكلهن يقلن عبارات كهذه في القصص التي كانت تقرؤها في عالم الواقع ..

إن (دي – جي – ٢) يكيف لسانها ليلائم الموقف .

تأمل (بوند) حطام العربتين ، وسحابة الدخان الأسود التي بدأت تتصاعد إلى عنان السماء .. وقال في حسرة :

– من المؤسف أن (تاركوفسكي) قد تفحم .. لقد كان خصمًا عنيدًا يلائمني تمامًا ..

ثم جذبها من ذراعها برقة ، ليقودها بين الأشجار قائلاً :

ـ والآن .. تعالى نركب سيارتي .. إن خير ما يلائمني للحديث عن هذه الأمور هو كأس من (الشمبانيا) ومُطيرة (كافيار) ..

في عصبية قالت :

ـ أنا لا أشرب هذا (الهباب)

نظر لها في رقة .. وقال وهو يشعل لفافة تبغ أخرى :

ـ آه .. معذرة .. نسيت أن العميلة الروسية الحسناء (أولجانوفا) لا تشرب حتماً سوى (الفودكا) .. هل حقاً يجهل رجال (كي جي بي) أنني أفضل (الفودكا) مع الصودا .. التي تمّ هزّها ولم يتم خلطها ؟

تذكرت على الفور هذه الجملةُ في كل قصص (بوند) .. فهذا الرجل أشبه بخنزير لا يكف عن الإيقاع بالنساء .. واحتساء (الفودكا) مع الصودا التي تمّ هزّها ، ولم يتم خلطها ..

إنها تكرهه وتشمئز منه .. وفي نفسها تعرف أن الرجال على شاكلته لا يحيون سوى شهواتهم .

ولا يمكن أن يعطوا إخلاصاً أو حناناً من أي نوع ..

لكنه ـ لا ننكر ذلك ـ مسل إلى حد غير عادي ..

إن ثقته المفرطة بنفسه لتوشك أن تصير فكاهية .

وعلى كل حال هي ستترك المغامرة تمضي إلى نهايتها

كما هي العادة دائماً

سارت معه إلى سيارته ... سيارة بيضاء رشيقة أشبه بالبجعة هي .. وإن شاءت تبرز منها أجزاء لا داعي لها على الإطلاق ..

قال وهو يفتح لها باب السيارة لتجلس :

ـ تفضلي يا مس (أولجانوفا) .. هذا هو الطراز الأخير من السيارة (م ـ ١٩) . لابد أن رجال (كي جي بي) يعرفون كل تفاصيل هذا التصميم . لقد حصلت عليه بعد أن تهشمت (م ـ ١٦) في (المكسيك) حين واجهت دبابات ذلك الوغد (رودلفو شافيز) .

قالت بعصبية وهي تركب السيارة وتغلق الباب :

ـ أنا لا أعرف أحداً من الـ (كي ـ جي ـ بي) . وليس اسمي (ناتاليا) ... أنا أدعى ....

ابتسم ابتسامة ثعلب ، وهو يدور حول السيارة ليركب خلف عجلة القيادة .. وقال :

ـ لاحظي أنني لم أذكر اسم (ناتاليا) قط .. أنت ذكرته !

ثم اندفع بالسيارة في لمح البصر .. غريب شأن هذه السيارة ! لا يوجد أي تسارع تدريجي في الانطلاق . فجأة هي واقفة ، وفجأة هي تتحرك بسرعة ١٨٠ ميلاً في الساعة ، ولا يوجد وضع وسط ..

قال (بوند) وهو يدير زرًا صغيرًا في لوحة المفاتيح :

– ها هي ذي شاشة (المسح الأيوني) .

وعلى الشاشة المذكورة رأت شيئًا يشبه أشعة (الرادار) التي تمسح الأفق .. ، وقال (بوند) :

– فيما فهمت .. فإن (الإصبع الذهبي) قد عاد .. وهو الآن يتسلى بسرقة حاملات الطائرات بعد فشل محاولته لنهب (فورت نوكس)(*) .. و .... لحظة !

وأخرج مسدسه وصوبه خارج النافذة ثم ضغط الزناد .. فسمعت صرخة ، أدارت رأسها للخلف ، فرأت رجلًا يهوى من فوق شجرة .. ليسقط أرضًا ويتهشم ..

– معذرة لمقاطعة الكلام !

قال (بوند) وهو ينفخ الدخان المتصاعد من ماسورة المسدس .

– كنت أقول إن (الإصبع الذهبي) هو المسئول عن سرقة ثلاث حاملات طائرات تخصنا .. وحاملتين سوفيتين ..

قالت وهي ترمق خارج النافذة :

– كنت أحسبه هلك غارقًا في الذهب السائل ..

(*) فورت نوكس : القلعة الحصينة التي تحوي كل مخزون الولايات المتحدة من الذهب

– كثيرون حسبوا الشيء ذاته .. لكنه نجا .. كلهم ينجون في النهاية .. هذا محتم لكي تستمر السلسلة .. و .. معذرة ! .. هذا واحد آخر ..

وأخرج المسدس من النافذة وأطلق رصاصة أخرى .. فرأت (عبير) اثنين يهويان من فوق شجرتين .. تساءلت في حيرة :

– اثنان بطلقة واحدة ؟!

قال وهو يرفع زجاج السيارة :

– إن هذا يوفر الطلقات .. ألا ترين ذلك ؟

ثم أضاف :

– إنهم سيفعلون أي شيء لاسترداد (الميكروفيلم) !

– هل هناك (ميكروفيلم) في الموضوع ؟

– حتمًا .. دائمًا هناك واحد .. أنا أعرف أنك تخفينه في حشو ضرسك .. إنها فكرة جيدة !

– حـ .. حشو ضـ .. ضرسي ؟ من قال هذا الهراء ؟

– لن أكشف عن مصدر معلوماتي .. المهم أنهم هم أيضًا يعلمون ذلك .. ولن يتورعوا عن اقتلاع أسنانك واحدة فواحدة وأنت حية .. إن هذا دينهم !!

وفجأة ارتفعت من أسفل المنحنى الذي كانا يصعدانه طائرة (هليكوبتر) .. بدت كأنها طائر أسطوري مرعب يرتفع من أعلى أمام عيونهما ليحلق فوق رأسيهما ..

وفي اللحظة التالية انهمر وابل من الطلقات الحارقة فوق السيارة ..

* * *

وفى اللحظة التالية انهمر وابل من الطلقات الحارقة فوق السيارة .

٣ - الرجل الذى يعرف الكثير ..

بدت الأرض كأنها تثوب مصفاة .. وحول السيارة تناثر الغبار فى كل مكان .. شرعت العجلات تئن بينما (بوند) يدير عجلة القيادة يمينا ويسارا محاولا التملص .. على حين ابتعدت الطائرة ..

ثم إنه قال لـ (عبير) من بين أسنانه :

- لو أن هذا الوغد يمرّ فوق رأسنا لحظة واحدة !

وكأنما سمعه المهاجم .. سمعت (عبير) هدير الطائرة إذ تعود لتفرغ عليهما دفعة أخرى من الرصاص .

وفى ذات اللحظة رأت على لوحة القيادة أمام (بوند) شاشة صغيرة عليها ذلك الصليب الفوسفورى الخاص بالتصويب .. ورأت أن الشاشة تعكس صورة واضحة نقية للسماء فوق السيارة ..

وبعد ثانية رأت صورة الهليكوبتر - من أسفل - وهى تعبر الشاشة .. عندئذ قال (بوند) فى ثقة :

- حان الوقت !

وضغط زرّ (الكاسيت) .. الذى لم يكن زر (كاسيت) فى الواقع ..

فى اللحظة التالية ارتفع جانب من السيارة ، وبرزت

فوهة مدفع مصوبة نحو السماء .. ورأت (عبير) خيطًا من الدخان الأسود ينبعث من الفوهة متجهًا لأعلى .. لأعلى .. نحو الهليكوبتر ..

بوووووووم !.. كان الانفجار مريعًا مفعمًا بألوان مبهرة حمراء وصفراء .. وطار شيء في الهواء جوار عيني (عبير) .. لكن (بوند) مد يده والتقطه في خفة قبل أن يلمسها :

- لا تقلقي ..!.. قد حصلت عليه ..

وتأمله في كفه .. وتنهد حسرة :

- إنه إصبع قدم الطيار .. يالها من مأساة !

ثم طوح بالإصبع خارج العربة .. وأردف فخورًا :

- إن الصواريخ (تي - ٢) أرض - جو تعمل بكفاءة حقيقية .. ألست من رأيي ؟

تنهدت في غيظ وقالت :

- سيارة بصواريخ !.. ألا تجد في هذا نوعًا من (الاستخفاف بالعقول) ؟!

- وما المشكلة في ذلك ؟.. إنه خيال المؤلف الخصب .

- نعم .. ولكن .. هذا يجعل المغامرة خالية من المشاكل .. يوجد زر لكل شيء وأداة سرية لكل غرض .. ما هي المخاطرة إذن ؟

- لكن هذه الابتكارات مبهرة في ذاتها ..

قالت في حنق :

- إن لي رأيًا قد لا يريحك كثيرًا يا مستر (بوند) لهذا أنوي أن أخرس .

قال وهو يضغط على زر إرجاع شريط (الكاسيت) ، من ثمَّ عاد المدفع الصاروخي إلى مكمنه :

- لا بأس .. والآن يمكننا أن نغادر (ألبانيا) ..

- (ألبانيا) ؟

- طبعًا يا ملاكي .. نحن في (تيرانا) الآن .. وقد انتهت مهمتنا هنا .. يجب أن نتعاون وإلا فلن نقضي على (الإصبع الذهبي) .. أنت تملكين (الميكروفيلم) الذي يظهر تفاصيل القاعدة .. وأنا أملك إمكانياتي وخبرتي .. يمكنني أن أحصل على (الميكروفيلم) بأن أنتزع ضرسك من فمك ، لكنني لا أحب العنف مع حسناء مثلك .

وأردف قبل أن تتمكن من الرد :

- ستعودين إلى الفندق ، وتعدين حقائبك .. بعد هذا نرحل إلى (الهند) .. حيث تنتظرنا مهام أخرى ..

نظرت له (عبير) في صمت ، ولم تنبس ببنت شفة ..

* * *

مطار (بومباي) ..

لماذا (الهند) بالذات ؟.. لا ندرى .. إن (دى - جى - ٢) يحاول أن يهبها أمتع الخيالات .. فينقلها إلى هذا البلد الملعم بالأسرار والبخور والثعابين كما يحلو لكتاب القصص الغربيين أن يتخيلوه ..

فى هذه المرة تهبط درجات الطائرة مع (بولند) .. جواز السفر يقول إنهما مستر ومسز (كيرتس) .. مستر (كيرتس) صحفى يكتب كتابا عن الأديان الشرقية ، وهى حرمه المنبهرة بكل شىء ..

يقول لها (بولند) وهما يخرجان من الجوازات ، ولفحة الجو الرطب الخانق تفعم خياشيمهما :

- والآن .. علينا أن نجد المدعو (موهاندا راى) ..

- ومن هو ؟

- إنه رجلنا ها هنا ..

وخارج المطار ترى (عبير) الفقراء الهنود الذين ينامون على أسرة من الأشواك ، والحواة الذين يعزفون المزمار لثعابين (الكوبرا) ، ولفيرا هنديا يصعد إلى السماء متعلقا بحبل .

تسأل (بولند) فى دهشة :

- كل هؤلاء أمام المطار ؟. من المفروض أن السلطات لا تسمح بذلك .

قال لها وهو ينقد الحمال حفنة من الروبيات :

- أنت فى (فانتازيا) .. خيالك لا يتصور (الهند) إلا مقرونة بهذه الأشياء .. لهذا من الطبيعى - وأنت تتخيلين - أن تجدى الحواة أول ما ترين فى (الهند) .

أوقفهما أحد الحواة وهو يمسك بمزمار .. وأمامه سلة يبرز منها رأس ثعبان (كوبرا) بذلك المنظار الأسود المنقوش على مؤخرة عنقه ..

كان الحاوى نفسه رجلا شبه عار ، يضع على رأسه عمامة عالية ، وينحنى فى تملق قائلا بإنجليزية (هندية) رديئة :

- هيه يا سيد !.. هلا ناولتنى روبية أو اثنتين ، ولسوف ترقص لك ثعابينى حتى المساء ؟

دنا منه (بولند) ونزع منظاره الأسود .. وهمس :

- أين ؟

تغير أسلوب الرجل ليتحدث فى جدية وخطورة هامسا :

- شارع (والجاتا) .. رقم (٤٣) .. التاسعة مساء ..

نظرت (عبير) إلى ما يحدث فى غيظ .. لو أراد هذان عدم جذب الأنظار ، لاختارا وسيلة أقل استعراضية . أن يهمس سائح أمريكى بكلمات ما فى أذن فقير هندى لأمر يثير الفضول ..

على أن ساحر الثعابين رفع المزمار إلى فمه وشرع يعزف .. ويتمايل .. فنقده (بوند) روبيتين ، ثم جذب ذراع (عبير) ليرحلا ..

ما إن ابتعدا بضعة أمتار حتى دوى الانفجار المروع .

قال (بوند) دون أن يلتفت وراءه :

ـ قنبلة موقوتة .. هذا واضح .. وهناك من دسها له في السلة مع الثعابين .. وهي لا تنفجر إلا حين يعزف المزمار بجانبها .. عرفت قنبلة من هذا الطراز في (الهند الصينية) لم تكن تنفجر إلا حين تقال جوارها لفظة (بوند) .

ـ وكيف نجوت منها ؟

ـ حين دسها الأعداء في .. قال واحد منهم للآخر : هذه كافية لنسف (بوند) ! وكان هذا كافيًا لتفجيرهما معا !

ـ ومن الذي وضع القنبلة للساحر الهندي ؟

حتما هو واحد لا يريدنا أن نصل إلى (موهاتدا راي) .. إن (موهاتدا راي) يعرف الكثير بالتأكيد .. هيه !.. تاكسي !

توقف التاكسي أمامهما ، وكان سائقه عملاقًا ملتحيًا من طائفة (السيخ) ، يضع ـ كعادتهم ـ لحيته في شبكة ، وقد دس في خده خنجرًا حادًا يدخل من الجانب الأيمن ليخرج من الأيسر ..

قال له (بوند) وهو يفتح السيارة لـ (عبير) :

ـ شارع (رانجانا) يا صديقي .. ولك مكافأة لو وصلت هناك قبل التاسعة مساء ..

ـ أمرك يا سيدي !..

جلس (بوند) جوار (عبير) يشرح لها كيف أن (السيخ) يدسون هذا الخنجر في خدهم كنوع من النذر الديني ، وكيف أن هذا الخنجر يعوق الرجل عن الكلام بالتأكيد .. صارحته أنها لا ترتاح كثيرًا إلى هذا الرجل .. فنظراته إليهما غير مطمئنة .. لكنه بدا واثقًا بنفسه كالعادة ..

قال السائق وهو يستدير بكل جسده ليرمقهما بعينيه المرعبتين ، ولحيته تتدلى على المقعد :

ـ هل تجوبان شرقًا ؟.. أنتما سائحان على ما أظن ،

ـ حتمًا ـ قال (بوند) ـ أنا أدرس الأديان الشرقية ، وبلدكم مليء بالأديان ..

ـ إن بلدنا مليء بالأديان .. وكل ما يمت إلى العالم الآخر ..!.. نياها ها ها ها ها ها ها ه !

مالت (عبير) على أذن (بوند) ، وهمست في قلق :

ـ لا أدري لماذا أشم رائحة التهديد في كلماته هذه !

قال في استهتار :

ـ إنها الطريقة المحلية في المزاح ..

التاسعة مساء .. شارع (تاغور) ..

قالت (عبير) لـ (بوند) وهى تقرأ اسم الشارع المكتوب بالإنجليزية والأوردية :

ـ لكن هذا ليس شارع (راتجانا) ..

قال (بوند) وهو ينقد الرجل أجره .. ويغادر السيارة :

ـ لا يهم .. أنت فى (فانتازيا) .. ما يهم هو أن مغامرة تنتظرنا هنا بصرف النظر عن اسم الشارع ، أنت تعرفين كما أعرف أنا أنه ـ فى الغالب ـ لا يوجد شارع باسم (تاغور) ولا (راتجانا) فى (بومباى) .. لقد استعمل خيالك أول اسمين ذوى طابع هندى تبادرا إلى ذهنك .. مثلما الفرنسى اسمه (جان) أو (بيير) فى كل القصص ، والإيطالى اسمه (كارلو) ، والألمانى اسمه (هانز) .. ما علينا .. ولكن .. أرى أن هذا هو البيت رقم (٤٣) .. يمكننا أن .. لكن لحظة ! .. لماذا أرى الباب مفتوحًا والأنوار كلها مضاءة ؟!

ـ د .. دعنا لا ندخل ..

ـ يا ملاكى .. ليس (بوند) من الذين يبالون بهذه السفاسف .. وامتشق مسدسه ، وخلفه دخلت (عبير) وهى ترتجف كورقة .. حتى بدا شكلهما كأحد ملصقات أفلام (جيمس بوند) الشهيرة .. (٠٠٧) يمتشق

مسدسه فى ثقة بينما تقف خلفه فتاة مذعورة .. تحتمى بقامته الفارعة من خطر داهم ..

لا يوجد أحد .. الصمت كما خلق ...

ولكن ـ حين صعدا الدرج ـ وجدا امرأة هندية ترتدى السارى مقتولة بالسكين والذعر على وجهها ... وعلى أريكة فى ركن القاعة وجدا رجلا بدينا يرتدى (الشيلوار) الهندى الشهير .. وفى عنقه انغرس سكين حتى النصل ..

مال (بوند) وانتزع السكين .. كان نصله متعرجًا كالثعبان .. تأمله لحظة ثم قال :

ـ تحفة فنية لكنها تلوثت بالدماء .. دماء (موهانتا راى) طبعًا ..

وهنا أصدر (موهانتا) صوتًا كأنما يريد قول شىء .

صاحت (عبير) وقد التصقت بالجدار هلعًا :

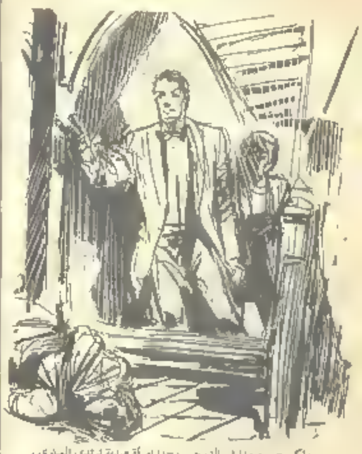
ـ إنه .. إنه حى .. مستحيل !

انحنى (بوند) راكعًا جوار الرجل .. وقال فى لا مبالاة :

ـ بالعكس .. لابد أن يقول كلمة ما قبل أن يموت ، ومهما كانت درجة إصابته .. هذا هو (البروتوكول) يا صغيرتى فى هذا الطراز من القصص .. والآن .. ماذا تقول يا عزيزى ؟

أصدر الرجل فحيحًا وعيناه تكادان تفارقان محجريهما :

ـ (كندا) .. المقاعل .. (أونتاريو) .. لا يجب أن ...



ولكن حين صعدا في الدرج .. وجدا امرأة هندية ترتدي الساري ،
ملوحة بالسكين ، والذعر على وجهها ..

نظر (بوند) إلى (عبير) وابتسم منتصرًا :
ـ أرأيت ؟.. يقول كلامًا يبدو غامضًا .. ثم يتضح لنا أنه جوهري لحل اللغز .. بعد هذا يموت طبعًا !
ونهض يرمق جثة الرجل في اشمئزاز :
ـ أنا لا أطيق الخاسرين !.. كيف يسمح إنسان لنفسه بأن يموت بهذه السهولة ؟!
ـ أنت وحش !
ردّ في هدوء وهو يتفقد المكان شاهرًا مسدسه :
ـ لو لم أكن وحشًا لما ظللت حيًا حتى هذه اللحظة .. إن أخلاق الرجل التقليدي لا تناسب أمثالي حتمًا ..
كانت تقول شيئًا حين وجدته يمرّ أمام ستار معلق جوار الشرفة ... وفجأة رأت يدًا تبرز من وراء الستار حاملة هراوة عملاقة .. ثم إذا بالهراوة تهوي فوق مؤخرة رأسه
بدا لها (بوند) كبالون فرغ منه الهواء .. ارتخى تمامًا ثم تهاوى ببطء إلى الأرض ..
وامتدت يد ممسكة بمنديل تحيط بأنفها فلم تجد الوقت كي تصرخ .. ويد أخرى تكبل حركتها ..
كان المنديل مبتلًا حاولت ألا تتنفس لكن سدى ..
وإلى أنفها تسربت رائحة شبيهة برائحة (الأسيتون) الذي كانت تزيل به الطلاء من على أظفارها في عالم الواقع .
ولم تكن تعرف أن هذه هي رائحة (الكلوروفورم) .
* * *

٤ ـ المصيدة ..

إنها مقيدة .. بالتأكيد هي كذلك ..
صوت يتردد في ذهنها باستمرار :
احترسي يا (عبير) !.. خلفك !
تساءلت ـ وهي تفتح عينيها في تراخ ـ عن مصدر هذا الصوت ، ثم تذكرت .. لابد أنه (شريف) يواصل الإدلاء بمعلوماته التي تصل متأخرة دائمًا .. لينه يكف عن ذلك ..
ضوء ساطع يحرق جفونها ..
تفتح عينيها بصعوبة .. لتدرك أنها مكبلة في مقعد جلدي عالي الظهر ، وأن كشافًا مسلطًا على وجهها على بعد سنتيمترات منها ، وأن هناك آلات أكثر من اللازم على منضدة جوارها .. وإذ تحرك عينيها أكثر ترى رجلا هنديًا يرتدي العوينات ومعطفًا أبيض ـ ينحني عليها ويتأمل وجهها في اهتمام ..
وسمعته يقول برصانة :
ـ هاأنتذي قد أفقت .. والآن هلا رأيتا فمك يا صغيرة ؟
فتحت فمها متهكمة غير فاهمة لما يريد ..
ـ ها هوذا !.. أرى أن عنايتك بأسنانك شبه معدومة .. وهنا فهمت ما يحدث ..

إنها مقيدة إلى كرسي طبيب أسنان !.. ولكن لماذا ؟.. آه !.. بالتأكيد لأن هؤلاء الأوغاد يريدون أخذ الميكروفيلم من فمها .. من حشو ضرسها !..
قال الرجل وهو يمسك بالمثقاب ويديره :
ـ والآن يا مس (أولجانوفا) أطلب منك أكبر قدر من التعاون ، لأن ما سيحدث سيكون مؤلمًا حقًا .
• صاحت في هلع :
ـ لا ..!.. أرجوك !.. أنا أخشى أطباء الأسنان !
ابتسم في رقة :
ـ أنت مررت بتجربة سابقة في (موسكو) حين خبأ رجال (كي ـ جي ـ بي) هذا الميكروفيلم في ضرسك .. لماذا تهينين الطب الهندي بافتراض أننا أقل براعة من السوفييت ؟!
صاحت وهي تحاول التحرر من المقعد :
ـ لكن .. لكنني لا أعرف أي ضرس هو !
ـ لديك أربعة ضروس محشوة .. سنجربها جميعًا .. وأرجو أن يحالفك الحظ فيكون الضرس المعني هو الأول أو الثاني !
صاحت في هستيريا وهي تؤرجح رأسها :
ـ لن أفتح فمي !
ـ هذا دين الأطفال !.. لكننا نعرف كيف نعالج هذا ..

ومدّ يده ليتناول أداة تفتح ببطء كلما أدار مسمارًا محوريًا بها ، ودسّها بين شفتيها .. ثم أدار المسمار ببطء فشرع فمها ينفتح وقد تدلى منه خيط لعاب سال على صدرها .. ذكرها هذا بأدوات الطب البيطرى التى تستخدم لإرغام الأبقار على فتح فمها ..

سال الدمع من عينيها ، وقد تحول فمها إلى مغارة صالحة للتنقيب عن الذهب بها ..

وبطرف عينها رأت رجلًا ملتحيًا يدخل القاعة ليقف خلف الطبيب .. كان هو سائق التاكسى العملاق الذى ركبت معه و (بوند) حين قصدا دار (موهاندا) .. كانت محقة حين لم ترتاب به إذن .

كان العملاق يرمقها فى وحشية .. ثم قال للطبيب :

ـ دكتور (رام) .. ألا ترى أنك تضيع وقتك فى هذا الهراء ؟.. كنا سنقطع رأسها وننتزع ضروسها كلها مرة واحدة !

قال د. (رام) وهو يمسك بمسبر صغير :

ـ هدوءًا يا عزيزى (راجا) .. إن العنف قد يتلف الميكروفيلم .. ثم ماذا يكون الموقف لو قطعتم رأسها لتجدوا أن الميكروفيلم ليس هناك ؟!.. من سيخبركم وقتها بمكانه الجديد ؟

وشرع يعبث بالمسبر هنا وهناك .. وسمعت أصواتًا تثير الغثيان من داخل فمها

ثم رأته يرفع المثقب ويديره .. ويبتسم :

ـ حان الوقت يا صغيرة .. أرجو ألا تتألمى كثيرًا !

وصرخت (عبير) من فمها المفتوح ..

واختلط صراخها بصوت هدير المثقب وهو يشق طريقه فى ضروسها ..

* * *

كان المكان مظلمًا ..

الألم الجنونى يعصف برأسها ، وتشعر أن فمها كان حقل تجارب نووية . بلسانها تكتشف عشرات الثقوب بداخل الضروس .. لقد كان الوغد دقيقًا فى عمله . ومن المؤسف أن ضرس الميكروفيلم كان هو آخر ضرس .. لقد اعتادت هذا منذ الطفولة .. كراستها هى آخر كراسة فى كومة الكراسات التى تستردها التلميذات .. اسمها هو آخر اسم فى قائمة الأسماء التى تُنادى ... لهذا حاولت أن تتذاكى وتبدأ بحثها بآخر كراسة .. اتضح لها أن كراستها هى الأولى ..!..

حتى فى (فانتازيا) كان الضرس المعنى هو آخر الضروس ..!..

أخيرًا تتعود عيناها الظلام .. وتدرك أنها فى قبو مظلم ... وترى (جيمس بوند) ملقى على الأرض بجوارها .

وثبت لتجلس جواره ، وتربت على خديه محاولة جعله ينهض ..

واضح - حمدًا لله - أنه لم يدخل قوائم وفيات هذا العام بعد .. ها هو ذا يفتح عينيه في إنهاك .. ثم يقول لها:

- (بوند) في خدمتك أيتها الحسناء .. (جيمس بوند) ..!

وينهض مبتسمًا ليمرر أنامله في خصلات شعره ، ويعيد إغلاق أزرار بدلته .. ثم ينظر لها في تساؤل ..

- الميكروفيلم ؟

أشارت إلى فمها ، إشارة بليغة جدًا لا تحتاج إلى تفسير .. فهتف :

- اللعنة !

ثم مد يده إلى جيبه ليأتي بقداحته الذهبية لفافة تبغ ..

وقال :

- لقد ذهب مجهود العميل السوفيتي (كودولوف) هباء .. فهو قد تمكن من تصوير قاعدة (الإصبع الذهبي) بالكامل .. ثم قام بتسليم الميكروفيلم للجنرال (تازييف) ، وكان أن دفع ثمنه من حياته ..

لقد ألقوا بـ (كودولوف) لأسماك (البيرانها) في (بيرو) .. تصوري هذا !.. سافروا به من (موسكو) إلى (بيرو) خصيصًا ليرموا به في حوض أسماك

(البيرانها) .. التي التهمته فلم تبق سوى أسنانه الذهبية ... ولكن الميكروفيلم ظل مع رجال (كي - جي - بي) .. وعرفت أنت أن (تازييف) خائن يعمل لحساب (الإصبع الذهبي) ، فسرقت الميكروفيلم وأخفيته في أسنانك .. وفررت إلى (ألبانيا) حيث أنقذتك .. كل هذا هباء ..

لم تفهم شيئًا من كل هذه القصة .. لكنها تظاهرت بالفهم .. المفروض أن هذه هي ذكرياتها وهي تعرفها جيدًا ..

تساءلت وهي تداري خدها بكفها :

- وماذا نفعل الآن ؟

- بالطبع نغادر (الهند) إلى (كندا) .. هذا هو آخر ما قاله (موهاندا) قبل أن يذهب إلى الجحيم ..

وهنا سمعا ضحكة عالية :

- نيا ها ها ها ها ها ها !

- هذه الضحكة مألوفة !

نظرا لأعلى فوجدا كوة مفتوحة يتسرب منها شعاع من الضوء ، يطل منها رأس يأتي الضوء من خلفه فلا يتبينان ملامحه جيدًا .. لكن الضوء يتخلل شعيرات اللحية إلى حد ما .. إنه السائق الذي جاء بهما إلى دار (موهاندا) .. والذي عرفت الفتاة أن اسمه هو (راجا) رجل (الشيخ) ذو الخنجر الذي يخترق خديه ..

قال (راجا) في لهجة منتصرة :

ـ والآن يا مستر (بوند) ـ وقد حصلنا على (الميكروفيلم) ـ أرجو أن تجدا (الهند) بلدًا مثاليًا .. نيا ها ها ها ها ها ..!

ثم أغلق الكوة ..

ـ ماذا يقصد ؟

تساءلت (عبير) في وجل .. لكن (بوند) كان ـ كالعادة ـ يعرف ما ينتظرهما .. من ثمّ مشى في حذر إلى ركن القاعة حيث مجموعة من الصناديق الخشبية العتيقة ، وأشعل قداحته ليرى ..

وفي اللحظة التالية ، برز رأس وعنق ثعبان الكوبرا وهو يحدج (بوند) بعينيه الشريرتين الجشعتين ..

تراجع (بوند) بحذر للوراء ، فإذا بثعبان آخر يبرز من وراء صندوق .. ثم ثعبان ثالث .. فرابع ..

عشرات .. بل مئات الثعابين تبرز من كل صوب قاصدة هذين الأسيرين البائسين ... لم تصرخ (عبير) ..

تحركت فيها (فوبيا الثعابين) الكامنة في نفوس البشر جميعًا ، فاحتبس الصراخ في حلقها .. وراحت ـ ببلاهة ـ تبكي كالأطفال ..

قال (بوند) وهو يطفئ قداحته :

ـ يا لها من زواحف مقززة ..!

تساءلت (عبير) وهي ترتجف :

ـ ألم يكن من الأفضل لهم ولنا أن يقتلونا بالرصاص وينتهي الأمر ؟

ـ هذا حلّ سخيف .. يجب في هذه القصص أن يكون أسلوب القتل طويل المدى ، وإلا من أين يأتي التشويق ؟! ومن أين نجيء فرصتنا للفرار ؟

ـ و .. وماذا سنفعل ؟

ـ إن قتل هذه الزواحف وكلًا بالأحذية غير عملي فضلًا عن أنه مستحيل ... ربما لو حاولنا تسلق هذا الجدار للخروج من الكوة .. ولكن يجب أولًا أن نشل زحفها غير المقدس نحونا ..

ومدّ إصبعين إلى زرّ في سوار قميصه فانتزعه ، وضغط جزءًا منه ثم رماه على بعد متر من مكانه و (عبير) .. ، وعلى الفور لاحظت (عبير) أن الثعابين تتراجع ببطء إلى الوراء ..

قال (بوند) وهو يلقي الدائمة ثهقه :

ـ هذا (هـ ـ ٤) . طارد الثعابين . تطوير لجهاز كان مصممًا للاستعمال في (فيتنام) بوساطة الأمريكيين ، ويصدر ذبذبات تضايق هذه الزواحف إلى حد غير عادي .. المشكلة هنا هي أن عمله لا يدوم أكثر من عشر دقائق ، ولهذا يجب أن نتسلق هذا الجدار خلال عشر دقائق لا أكثر ..

وتمدد على الأرض ، ورفع قدميه إلى أعلى .. ثم ضغط على جزء في حزامه .. وفي اللحظة التالية انطلق كعب حذائه الأيمن كالقذيفة ليصطدم بالجدار وينغرس به .. ووراءه تدلى حبل طويل سميك ينتهي عند الجزء الباقي من حذاء (بوند) ..

- هذا هو .. يمكننا الآن تسلق هذا الحبل .

وساعد (عبير) على أن تلف قدميها على الحبل ، وتستعمل يديها للتسلق .. ثم راح يراقبها وهي ترتفع لأعلى ببطء .. ببطء .. حتى وصلت إلى مستوى الكوة .

صاح بها :

- حاولي فتحها .. والتسلل بجسدك من خلالها .

- إنها لا تنفتح ..

- إذن تعلقي بالقرميد البارز من الجدار .. وانتظري حتى ألحق بك .. لابد أن هناك طريقة ما ..

وخلع سترته ، وربطها في طرف الحبل الأسفل حتى يستردها فيما بعد إذا وصل لأعلى ..

ثم بدأ يتهيأ للصعود ، حين سمع (عبير) تصرخ في هلع :

- الثعابين !.. إنها تعاود الهجوم !

نظر (بوند) من وراء كتفه ..

ورأى أنها كانت صادقة فيما قالته ..

صادقة تماما ..

* * *



ثم بدأ يتهيأ للصعود ، حين سمع (عبير) تصرخ في هلع :

- الثعابين !.. إنها تعاود الهجوم .

٥ ـ القيادة ..

أسرع (بوند) يتسلق الحبل بأقصى ما أوتى من قوة .

وبصعوبة نجا من لدغة قاتلة وجهها له ثعبان متحمس .. ثم شرع يرتفع ، وعيناه لا تفارقان العشرة الثعابين المنتظرة على الأرض من أجله ..

وكذا وصل إلى (عبير) التى ألصقت جسدها المرتجف بالقرميد ... والتصق بها .. ثم إنه مد يده يرفع الحبل لأعلى ليسترد سترته ..

فى تؤدة ارتداها ، وأحكم تثبيت الأزرار ..

راقبته (عبير) فى اشمئزاز .. إنها ترى فى حرصه المبالغ فيه على الأناقة نوعًا من التخنث .. ، كان هذا الأحمق لا يطيق أن يبدو مشعثًا ربع ثانية تكفيه للنجاة الكوة .

راح يتأمل الكوة فى اهتمام .. ووجه لها ضربتين بقبضته .. من ثمّ تأكد من أنها موصدة بإحكام ..

قال لـ (عبير) وهو ينتزع زرًا من سترة قميصه :

ـ ابتعدى بوجهك قليلاً .

وبشريط (بلاستر) لاصق أحكم تثبيت الزر فى

غطاء الكوة .. ثم أخرج قداحته وقربها من الزر :

ـ إن أزرار (النيتروجلسرين) مفيدة دائمًا !

ـ نيترو ....؟.... هل تمزح ؟

وهنا كان قد أبعد وجهه ، ودوى الانفجار المريع ليتناثر غطاء الكوة ويتسرب منها ضوء الغسق الخافت البارد ..

قال لها وهو يتأمل المشهد :

ـ أنا لا أمزح أبدًا فى أثناء الهرب ..!

فى حنق ممزوج بالرضا غمغمت :

ـ كل هذه الأزرار ؟ لا أدرى كيف تتذكرها .. ولا من البصمة التى تخيطها لك بعد عودتك من العمل ..

ـ أوه !.. إن هناك خياطات كثيرات فى مقر المخابرات البريطانية ..

ومد جسده ليضع كفه على حافة الكوة .. ثم جذب جذعه ليمر من خلالها .. ودعا (عبير) إلى أن تحذو حذوه ..

وخارج القبر وقفا يرمقان المشهد من عل فى ضوء الغسق ..

كانا يقفان على إفريز معبد هندى تزدان جدرانه بالوجوه الحجرية ، و (كالا) ذات الستة أذرع ، وعرفا

أنهما خرجا من إحدى القباب العتيقة المتناثرة هنا وهناك ..

كانت هناك درجات حجرية تقود إلى أسفل ، فتقدم (بوند) (عبير) نازلا هذه الدرجات وهو يتلفت حوله في حذر .. أخيرا صارا على الأرض ..

أشار لها كي تتبعه .. واندفعا يجريان حتى وصلا إلى الشارع الرئيسي ، فأوقف (بوند) إحدى سيارات التاكسي ، ولم ينس طبعا أن يتأكد من شخصية السائق الذي كان ـ هذه المرة ـ شابًا نحيلا مريضًا بفقر الدم .. وقال له :

ـ إلى معبد (شيفا) يا صديقي .. بأسرع وقت ..

واندفعت السيارة تشق طريقها عبر الدروب المتعرجة الضيقة ، المزدحمة بالمتسولين والحواة والأطفال العراة الذين يرمقون السيارة في فضول ..

* * *

معبد (شيفا) وقد حل الظلام ..

عند مدخل المعبد يجلس على درجات السلم الرخامية بعض الهنود العراة يعزفون على آلة وترية تشبه (الهانجو) ، وعلى آلة تشبه (الفاتون) ، تلك الموسيقا الهندية الملتاعة المليئة بالشجن .. كأنها نياط فؤاد يتمزق ..

وأمامهم ترقص فتاتان ترتديان الساري الهندي .. وهما تحركان أناملهما بحركات معقدة كأنها لغة الصم والبكم ..

اجتاز (بوند) و (عبير) هذا الزحام .. ولم يفت (عبير) أن تلاحظ ما يفعله (دي جي ـ ٢) من أجلها .. يحاول أن يريها الهند كلها في سلة واحدة ..

وتصديقًا على هذا الظن ، نظرت إلى الميدان .. فوجدت فيلاً أبيض عملاقًا على ظهره هودج .. وفي الهودج يتأرجح مهراجا يمينًا ويسارًا ..!..

إن (دي جي ـ ٢) يستخف بعقلها حقًا ..!..

دخل (بوند) المعبد .. ومشى بثقة بين الشموع المضاءة والأصنام ، حتى وصل إلى تمثال لـ (شيفا) جالسة على عرشها ، الذي لو تحركت عنه لثارت الزلازل وهاجت البراكين ..

مد (بوند) إصبعه إلى القلادة التي على جيد التمثال .. وشرع يضغط الأحجار الثمينة بترتيب معين .. ثم توقف محاولاً أن يتذكر ..

أخرج ورقة من جيبه وأعاد قراءتها :

ـ ياقوت ـ زمرد ـ ياقوت ـ زبرجد ـ ثم ياقوت ـ ياقوت .. كدت أنسى !..

وعلا بضغط الأحجار الكريمة (الشفرة) بذات الترتيب ..

وعلى الفور — ما إن ضغط على الياقوت — حتى مادت الأرض تحت قدميهما .. ووجدت (عبير) نفسها تهوى صارخة إلى أسفل ومعها (بوند) ..

وحين استردت أنفاسها أخيرًا ، وجدت أنها غارقة فى بركة — أو حوض سباحة — وقد ابتلت حتى النخاع بالماء البارد .. تذكرت ذلك الكتكوت الذى سقط فى وعاء شرب الدجاج فوق سطح دارهم فى دنيا الواقع .. لم يكن أسوأ حالاً منها .

صعدت إلى خارج الماء وهى تسعل وتبصق الماء .. فى حين تبعها (بوند) وهو راض عن سير الأمور ..

وجذبها من يدها لتقف معه تحت (سيشوار) عملاق معلق من السقف ينبعث منه الهواء الجاف الساخن ..

— عليهم اللعنة !

قالت فى حنق :

— ألم تكن هناك طريقة أكثر بساطة لتخفيف السقطة ؟!

— بلى .. الشبكة أو الوسادات الهوائية .. لكن مندوب المخابرات البريطانية هنا رأى خفض التكاليف .. إن الماء أرخص من سواه !

كانا قد جفا تمامًا .. وإن شعرت أن خصلات شعرها تحولت إلى كتلة من (الزغب) تتطاير فى كل اتجاه ..

وتقدمها (بوند) عبر ممر طويل أشبه بممر فى مدينة الملاهى .. حبال على اليمين واليسار يتدلى منها جنود عراة وقد دسوا الخناجر ما بين أسنانهم . .

واثنان يتسليان بخنق بعضهما ، على حين يتسلى واحد ثالث بقذف الخناجر على فتاة تقف باسمة بمحاذاة الجدار ..

— أين نحن ؟

قال (بوند) وهو مستمر فى التقدم :

— هذا هو مركز التدريب لعمليات المخابرات .. إن ما تريته لمكان بالغ السرية ، وأرجو أن يكون مجهولاً لدى الـ (كى — جى — بى) ..

وهنا انقض عملاق متجهم عارى الجذع على (بوند) ملوحًا بسيف عملاق ، وهو يطلق صرخات مرعبة ..

غمز (بوند) لـ (عبير) بعينه اليسرى ، ثم انتحى جانبًا ليمر العملاق بجواره .. ومد طرف حذائه أمام ساق المهاجم ..

وسرعان ما تدحرج هذا أرضًا ..

أخرج (بوند) قلمه الحبر وصوبه نحو العملاق .. وقال فى نشوة :

- ردىء يا (رامو) .. ردىء جدًا .. والآن يمكنني بكل سهولة أن أمزق أحشاءك بسلاح (الليزر) .

جلس العملاق في خزي .. ومسح لحيته وقال :

- مستر (بوند) .. ما زلت سريع الاستجابة .. إن (الجنرال) ينتظرك منذ ساعتين ..

- لكن ..

هرعت (عبير) تلحق بـ (بوند) ، بينما هو يشق طريقه بين صف من الرجال الملثمين منهمكين في خنق تماثيل - تمثال لكل واحد - بالحبال الغليظة ..

قالت له وهى تلهث محاولة اللحاق بخطوته :

- إذن فهذا هو مركز قيادتكم ؟

- في (الهند) .. نعم ..

- ولكم مركز مماثل في كل بقعة من العالم ؟

- حتمًا .. حتى في (أنتاركتيكا) ..

- أجدها فكرة حمقاء .. ألم تجدوا مكانًا أقل ازدحامًا وإثارة للريبة من هذا المعبد ؟

- كلما كان المكان غير صالح للعمل السرى ، كلما كان أفضل للعمل السرى !.. إن قاعدتنا في (الاتحاد السوفييتى) تقع في (الكرملين) تحت غرفة نوم (بريجنيف) مباشـرة !.. وفى (كوبا) توجد قاعدتنا

فوق دورة مياه (كاسترو) .. إن الرجل يعاني من إمساك مزمن وهذا يقلل فرص اكتشافه أمرنا !

قالت وهى تلتقط أنفاسها بعد لأى :

- قال العملاق إن الجنرال ينتظرك .. هه هه .. منذ ساعتين .. هه هه .. هل هو يعلم أنك هنا ؟

- حتمًا .. إن الجنرال (بنوفيلد) ينتظرنى دومًا وفى كل مكان من العالم ..

وفجأة صرخ :

- انحنى !!

فارتمت أرضًا جواره ، لتسمع صوت صفير .. ثم انفجار مدوّ شعرت بحرارته تلفح وجهها .. وحين رفعت عينيها وجدت جزءًا من الممر وقد تلاشى .. تحول إلى رماد يتصاعد الدخان منه ..

ومن بعيد أقبل رجل هندى يحمل مدفعًا على كتفه .. وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مريعة .. قال (بوند) وهو ينهض :

- عمت مساء يا (كريم) .. طلقة غير صائبة ..

قال الرجل في شىء من حياء :

- أردت أن أمازحك يا مستر (بوند) .. فأصيب القافة النبع في غمث دون أن أرتيك !

- ليس بالباروكا يا (كريم) .. إنها تكون دعابة ثقيلة نوعا .

* * *

كان الجنرال (بلوفيلد) جالسًا في مكتبه ، على حين تتناثر على الجدران الخرائط الحربية التي غرست بها الدبابيس الحمراء والخضراء ، وكانت هناك سكرتيرة شمطاء جالسة تدق شيئًا ما على آلة الاختزال .. في حين كان هناك ثلاثة رجال منهمكين في إجراء الاتصالات الهاتفية .

صاحت السكرتيرة في موح وأصابعها مستمرة :

- مستر (بوند) !.. يا لها من مفاجأة !..

وقالت لـ (عبير) باكتئاب :

- لا تصدقيه في موقف يا صغيرة .. لقد وعدني بالزواج منذ كنت في سنك ، وحتى اللحظة لم يف بما وعد ..

قال (بوند) وهو ينزع سترته ، ويلقيها على مكتب السكرتيرة :

- إنني ضعيف الذاكرة يا عزيزتي (هيلين) .. بالمناسبة .. أرجو أن تعيدي تثبيت أزرار هذه السترة .. قد استعملت زر (الثعابين) وزر (النيتروجلسرين) اليوم .. واستعملت كذلك كعب الحذاء قاذف السهام ..

قال الجنرال وهو يصف أوراقه ويرتدي عويناته :

- إذن كان أول يوم لك في (الهند) صاخبًا يا (بوند) ؟

- هو كذلك يا سيدي .. لقد وجدت (موهندا) قتيلًا .. وسرقوا الميكروفيلم من (ناتاليا) .. لكننا تبينا بضع كلمات من فم (موهاندا) المحتضر : (كندا) .. المفاعل .. (أونتاريو) ... ولعمري هذا هو ديدن المحتضرين السخيف .. يكتفون بالمبتدأ دون الخبر ..

- على الأقل الخيط يبدأ في (كندا) ..

ثم عقد أنامله تحت ذقنه متسائلًا :

- متى سترحل إذن ؟

قال (بوند) وهو يمشط شعره بخنجر وجده على مكتب الجنرال :

- غدًا .. فأنا بحاجة إلى الراحة وبعض (الفودكا) مع الصودا ، تم هزها ولم يتم خلطها ..

- (بوند) !

قالها الجنرال محذرًا ، وضرب المكتب بقبضته :

- هل تريد أن أعطي العملية إلى (٠٠٨) أو (٠٠٩) أو (٠٤٦) ؟..

إنهم جميعًا في الصف ينتظرون .. دعك من العميل (٣٤٥٦٧٤٢٨٩) الذي ينتظر فشلك في شغف ..

- لا يا جنرال .. سأذهب الآن .. حفظ الله جلالة الملكة .

ثم أشار لـ (عبير) في إحباط كي تتبعه إلى الخارج ، سأله الجنرال بينما هما في طريقهما للرحيل :

- من هي هذه الآنسة يا (بوند) ؟

قال (بوند) في لامبالاة وهو يرتدي سترته برغم احتجاج السكرتيرة :

- إنها جاسوسة روسية .

- إذن لماذا لا تقتلها ؟!

هز (بوند) رأسه في إنهاك .. وقال :

- لا أستطيع .. لا يوجد نساء في هذه المغامرة سواها .. و (بوند) لا يستطيع العمل دون امرأة مذعورة تحتمي به ، وتزيد متاعبه ..

- لا بأس .. ولكن كن حذرًا ..

وهنا دق جرس الهاتف .. فرفع الجنرال السماعة الحمراء ، وطفق يصغي بعض الوقت وقد أشار بيده إلى (بوند) ألا ينصرف .. بدأت علامات القلق ترتسم على وجهه .. وكانت المحادثة بليغة حقًا :

- همم .. هم ؟.. ههم ؟.. هم م م م !.. هم ؟ هم م م م م ؟.. هم !

ووضع السماعة .. ثم رفع عينين خطرتين إلى (بوند) .. عينين أدركنا أن الأمر لا عبث فيه .. وقال بلهجة مسرحية :

- كان هذا هو الرئيس الأمريكي ذاته !

- (كلينتون) ؟

- بل (نيكسون) يا أحمق .. لا تنس أن أحداث القصة تقع في السبعينات .. إن (نيكسون) قلق لأن الأسطول السادس فقد حاملتي الطائرات (ساراتوجا) و (إنتربرايس) وبنفس الأسلوب .. فجأة طارت حاملتا الطائرات في السماء ، وطاردتهما المقاتلات (الفانتوم) .. لكن محركاتها توقفت عن العمل .. كان ذلك في بقعة ما من المحيط الهادي .. ويقال إن الطائرات الست قد سقطت فوق (الهنـ ......) ...

ودوى الانفجار المروع .. وسمع الرجال صراخًا آتيًا من الخارج .. ثم اقتحم الغرفة رجل هندي يصرخ في هستيريا ، والدخان يتصاعد من شعره :

- لقد سقطت ست طائرات (فانتوم) فوق مركز القيادة !

قال الجنرال وهو يشعل غليونه دون أن يحرك ساكنًا :

- أوف !.. ياله من حظ سيئ .. هكذا ترى يا (بوند) أن مهمتك حساسة إلى حد غير عادي .. هناك من يحسب حاملات طائراتنا سيارات يسرقها ويبيعها .. أو يسرقها ويفككها .. أو يسرقها ليبتزنا بها ..

وأشار بقوة إلى (بوند) :

- الآن يا (بوند) .. اذهب واقبض عليه !!

* * *



قال الجنرال وهو يتفحص غليونه دون أن يتحرك من مكانه:

ـ أرجو لـ [illegible] حظًا سعيدًا

٦ ـ الموت للإصبع ..

فى تمام الثامنة مساء بتوقيت (بومباى) ، والواحدة فجرًا بتوقيت (كوالا لامبور) ، ومنتصف النهار بتوقيت (نيويورك) .. أو أى توقيت يخطر ببالك .. لأن هذه (الفانتازيا) .. ظهر على شاشات التليفزيون فى أرجاء الكون ذلك الوجه القبيح المميز للإصبع الذهبى ..

ـ لقد اكتمل انتصارى ..

أصيب الناس بالهلع .. خاصة وأن كلام الرجل كان مترجمًا إلى العربية والأسبانية والروسية والبنغالية و .. و ...

ـ هنا الإصبع الذهبى الذى سيطر على كل الأقمار الصناعية يخاطبكم .. إلى كل حكومات العالم .. إن ألف قنبلة نووية موجهة الآن إلى ألف مدينة هامة فى العالم ..

كانت (عبير) تشاهد هذا على شاشة (التليفزيون) فى ذلك الفندق فى (أونتاريو) ، وقد جلس جوارها (بوند) ، يحسو (الفودكا) بالصودا التى تم هزّها ولم

يتم تقليبها .. ويغمز بعينه لموظفة الاستقبال بـالفندق التي راحت تختلس إليه النظر ..

هتفت (عبير) في هلع :

– يالهول !.. ماذا سنفعل ؟

– صبرًا يا ملاكي .. إنها – لعمري – التيمة الأبدية لقصصي .. الثري المجنون الذي يسيطر على العالم ، ويرغمه على الاختيار بين الدفع أو التدمير .. لابد أنه يهدد باستعمال (س – ١٤) ..

كانت تعرف الاستمارة (س – ١٤) بحكم دراستها التجارية .. لتساءلت :

– تعني استمارة (الوكلاء الوحيدون) التجارية ؟

نظر لها في غيظ .. وغمغم :

– إن (س – ١٤) هو دائمًا قنبلة هيدروجينية ، أو صاروخ نووي ، أو فيروس جديد مرعب .. المهم أن اسمه دائمًا (س – ١٤) !

ولكن لنر ما يقول هذا المعتوه ..

كان الإصبع الذهبي يواصل ثرثرته على الشاشة :

– ... دون تردد .. ويمكن للحكومات أن تحول دون ذلك لو أنها أرسلت إلى الفضاء قمرًا صناعيًا به ١٢٦ مليار دولار .. أوراقًا جديدة غير مرقمة .. وذلك خلال ٤٨ ساعة من الآن ..!

ثم ابتسم في رقة .. وهتف وهو يشعل سيجارًا :

– هنا الإصبع الذهبي يحييكم من مكان ما في هذا الكوكب !

وانتهى الإرسال الطفيلي ليعود الإرسال الأصلي ..

وفي قاعة الفندق راح الناس يتبادلون صرخات الهلع .. وأغشي على بعض النسوة .. وأصابت إحداهن آلام الوضع ، على حين أخرج أحد المتحمسين مسدسًا من جيبه وأفرغ في رأسه أربع طلقات .. خرّ على إثرها يتضرج في دمائه ..

أربع طلقات !.. هتف (بوند) في إعجاب وهو يشعل للفافة تبغ :

– هذا جديد .. في العادة يموت المنتحر بعد الطلقة الأولى .. هذا هو التجديد الحق !

ثم اكتسى وجهه بمعالم الجدية .. وقال للفتاة هامسًا :

– هل لاحظت الخلفية وراء الإصبع الذهبي ؟.. توجد لوحة على الجدار لـ (ديجا) .. هذه اللوحة لا توجد إلا في مكانين بالعالم : (سيبريا) و (زيمبابوي) .. كانت هناك لوحة ثالثة عند دكتور (نو) لكنه احترق بها .. والآن هل لاحظت المدفأة الموجودة بجواره ؟ هذا يعني أنه لا يمكن أن يكون في (زيمبابوي) .. إنه في (سيبريا) ..

- أنت عبقرى !

- هذا ليس جديدًا .. ثم .. هذا السيجار الذى أشعله .. لا يوجد هذا النوع من السيجار إلا فى (أومسك) .. إذن هو فى (أومسك) بـ (سيبريا) دون جدال ..

قالت له مرتابة :

- لكن الهندى (موهاندا) قال لنا اللفظة (أرتتاريو) .

حك ذقنه فى إنهاك ، وجرع جرعة من الكأس :

- هذا حق .. لا يمكن أن يكون (موهاندا) قد كذب علينا .. إن (شكسبير) يقول : اصغوا لكلمات المحتضرين .. لأنه حين تغدو الكلمات قليلة يندر أن تقال بلا جدوى ..

ثم وضع ساقًا على ساق .. وأردف :

- لكن استنتاجاتى لا تخطئ .. من يدرى ؟.. ربما تعمد (الإصبع الذهبى) أن يضع فى كادر الصورة ما يوحى بأنه فى (أومسك) بينما هو فى (كندا) ؟ كان يعرف أن أجهزة الاستخبارات ستمسح العالم بحثًا عنه ، وستعيد تأمل كل سنتيمتر فى اللقطة التى يتكلم فيها .. وربما .. لكن هذا يضعنا فى مفترق طرق ، وعلينا أن نختار ..

ثم إنه تثاءب ، ودعا (عبير) إلى أن تصعد إلى حجرتها

لتنال قسطًا من النوم .. فإن غدًا ليوم شاق ..

هزت رأسها أن نعم .. وصعدت الدرج ..

* * *

ما إن دخلت حجرتها حتى أحست بأن هناك شخصًا ما بالداخل .. هذا واضح ..

هناك من عبث بحشية الفراش ، وفتح الدولاب ، وأخرج أدراج الكومود من مكانها .. إنه - والحق يقال - باحث أخرق ..

كادت تغادر الغرفة لولا أنها وجدت من يقف جوار الباب قاطعًا الطريق عليها ..

رجل ناحل الجسد .. أصلع الرأس .. له عينان زرقاوان سامتان .. وفى فمه لفافة تبغ موضوعة فى مبسم ذهبى ، وكان أنيقًا إلى حد الأنوثة ..

أما الأهم من هذا كله فهو أنه كان يحمل عصا أبنوسية مزدانة بالنقوش والزخارف ، وقد انتزع طرفها ، فبدا لها نصل مدبب يلتمع فى ضوء الغرفة الخافت ..

صاحت فى هلع :

- جنرال (تازييف) !

قالتها وشعرت بدهشة ..

هى لم تره من قبل ولا تعرف اسمه .. لكن (دى - جى - ٢) جعلها تعرفه منذ زمن .. وهذا منطقى لأن العميلة الروسية (ناتاليا) تعرف جنرال (تازييف) .. وتتحاشاه .. وترهبه كالموت ذاته .

- تحية أيها الرفيقة (أولجانوفا) !

قالها بلهجة إنجليزية ركيكة ..

وتساءلت عن سبب ذلك .. هو روسى وهى روسية ولا أحد سواهما هنا .. من المفروض أن يتحدثا الروسية .. ثم تذكرت أن الإنجليزية الركيكة هى لغة الحوار الرسمية بين الروس فى قصص (جيمس بوند) .. وحتى فى اجتماعاتهم الخاصة ..

قالت بلهجة مماثلة :

- ك .. كيف عرفت أننى هنا ؟

ابتسم ابتسامة مقيتة .. وهو يشعل لفافة تبغه :

- إن رجال المخابرات يعلمون - أو يجب أن يعلموا - أشياء كثيرة .. خاصة ما يتعلق بأعداء الحزب ..

قالها وهو يتقدم منها ببطء :

- حلفاء الإمبريالية ..

قالها وهى تتراجع بظهرها للوراء :

- الذين يقضون الوقت مع عميل بريطانى ..

حاولت أن تثبت مكانها .. وبحنق قالت :

- أنت تعرف من هو عدو الحزب الحقيقى .. تعرف من هو سارق الميكروفيلم .. ومن أراد أن يسلمه للإصبع الذهبى ..

ضحك (تازييف) فى استمتاع ، وغمغم :

- يا صغيرة .. أنا لست مبتدئا ..

وفرد كفه ليعد على أصابعها :

- لقد عملت فى (الكى - جى - بى) .. وصرت عميلا مزدوجا مما سهل لى العمل فى (السافاك) .. ثم (الموساد) .. ثم (المكتب الثانى) .. ثم (سى آى إيه) و (إف بى آى) ... دعك من تعاونى القذر مع (الجشتابو) فى زمن الحرب(*) ..

وتوقف لحظة ليسترد أنفاسه فى شهقة طويلة .. ثم أضاف :

- وهذا يعنى أنه لا أحد يخدع (هارون تازييف) ويظل حيا(**) ..

(*) لمن يهمه الأمر .. معنى هذه الأسماء بالترتيب هو : المخابرات السوفيتية .. الإيرانية .. الإسرائيلية .. الفرنسية .. الأمريكية .. المباحث الفيدرالية .. المخابرات النازية .

(**) للأسف (هارون تازييف) هو اسم عالم من أشهر علماء البراكين السوفييت .. لكن (عبير) لم تجد له اسما ذا طابع روسى تسمى به العميل سوى هذا

ثم أشار إلى صدره بفخر :

- إنني لو غد منحل بلا خلاق .. إنني أشرّ الناس طرًا .. إنني أمتلك كل مثالب قلب مسعور دون فضائله ..

ثم أمي ملل :

- والآن .. إلىّ بهذا الميكروفيلم !

ولوح بالنصل في وجهها .. فصاحت وقد احتبس الكلام :

- لكن .. لكنهم سرقوه .. في (الهند) .. صدقني .

وفتحت فاها عن آخره ليلقي نظرة للداخل :

- هل ترى ؟.. انتزعوا كل حشو أسناني بحثًا عنه .

مشى (تازييف) في تؤدة إلى وسط الغرفة ، وعيناه لا تفارقان (عبير) .. وداعب طرف السلاح بالنصل الذي في يده .. كان يفكر في أشياء عديدة في اللحظة ذاتها ..

ثم إنه رفع عينيه نحو (عبير) وقال بسأم :

- هل رأيت في حياتك عملية تشريح ضفدعة ؟

- جنوب !.. لا .. !

- حسن .. إنهم يغرسون إبرة التشريح في مؤخرة العنق .. عندئذ تتشنج الضفدعة وتتصلب أطرافها .. ثم تفرغ مثانتها . وتموت ..

- لـ . لماذا تحكي لي ذلك ؟

- إنني أتساءل عن شعور الأعمى الذي يخوض تجربة كهذه !

- الميكروفيلم ليس معي ..

قالتها بصوت مبحوح ، والبكاء على الباب ينتظر من يسمح له بالخروج .. هكذا الجنرالات السوفييت في هذا النوع من القصص .. كلهم مرضى نفسيون .. مولعون بالسادية والتعذيب .. معقدون إلى حد مروع ، في الغالب ، لأن الجماهير متعطشة إلى قراءة أشياء كهذه ربما على سبيل الدعاية ضد المعسكر الأحمر .

هتفت (عبير) والعبرات تغزو عينيها :

- هل لك أن تقول لي .. إذا كنتم أنتم من سرق الميكروفيلم فكيف تسألني عنه ؟!

- أنا من يسأل هذا السؤال .. لو كانوا قد سرقوا الميكروفيلم منك لكنت أنا أول من يعلم ..

ثم لوح بالنصل معلنًا أن صبره نفد .. ما زال مطلوبًا منه قتل خمسة آخرين قبل أن يذهب لينام .. وغدًا يوم آخر ..

قالت له :

- أنت لن تنجو بفعلتك هذه في المخابرات ..

مط شفتيه في اشمئزاز .. وغمغم :
ـ ولم ؟ أنت تعملين مع البريطانيين ، ولهذا سرقت الميكروفيلم مني .. لحقت بك .. وصفيتك جسديًا ... إنني لجدير بوسام مكافأة لي على هذا الحماس ..

وهنا قررت (عبير) أن تفر .. لكن الوغد مد يده ليقبض على شعرها الأشقر ـ شعر (ناتاليا) ـ ويرغمها على الركوع أرضًا .. ثم شرع يعتصر خصلات الشعر يلفها حول قبضته ، وهو يضغط على أسنانه باستمرار ..

صرخت (عبير) مرارًا دون جدوى .. لا أحد يسمع ..
وقال لها (تازييف) وهو يواصل اعتصار شعرها بغل :
ـ لا جدوى .. لقد قمت باستئجار غرفتين فوق غرفتك .. وغرفتين تحتها .. وغرفتين على يمينها .. وغرفتين على يسارها ..!.. ثماني غرف كاملة حتى لا يصغي أحد لمحادثتنا .. وقمت بقطع خطوط الهاتف وجرس الخدمة والتلكس والفاكس والتليفزيون .. وقتلت الساقي وخادمة الغرف والحمالين ..
ثم غمغم والفخر يكاد يعصف به :
ـ إنني لرجل أؤدي واجبي كما ينبغي ..
ثم ـ في مرح ـ رفع خصلات الشعر عن مؤخرة عنقها ،



وهنا قررت (عبير) أن تفر .. لكن الوغد مد يده ليقبض على شعرها الأشقر

- الآن نبدأ تجربة التخدير ..!
- لا !
- بل نعم ..
- لا !
- بل نعم ..

وشعرت (عبير) بالنصل ينغرس فى أعلى قذالها ..
يجب أن تفعل شيئاً .. إنها لم تنس كلمات (شريف) :
لو أنها قضت نحبها فى (فانتازيا) لماتت كذلك فى دنيا
الواقع ..

وخطر لها هنا أن (ناتاليا أورلجانوفا) عميلة (كى -
جى - بى) يستحيل أن تكون بلهاء معدومة الحيلة إلى
هذا الحد .. تكتفى بالهلع والصراخ .. لابد وأنها تعرف
كيف تدافع عن نفسها ..

رفعت قدمها إلى أعلى فوجدتها تطاوعها بخفة
واندفاع غريبين . وفى اللحظة التالية هشم كعب
حذائها أنف (تاريف) ..

أطلق سبة روسية بذيئة .. وقال وهو يتحسس أنفه :
- هأنتذى تلعبين بقذارة !.. لا أحب الخيانة أبداً ..
أوه !.. بحق (اللجنة المركزية للحزب) .. لقد سال
الدم من أنفى !

كانت ضربة بحد اليد فوق عنقه هى الخيانة الثانية ..
ثم جاءت ركلة فى أسفل بطنه لتكون الثالثة
أما الخيانة العظمى فكانت ركلة - بعد الطيران فى
الهواء - إلى فم معدته ، فخرج الهواء من فيه .
هتف وهو يترنح والدم يغطى ذقنه :
- (ناتاليا أورلجانوفا) !.. لقد استحققت اللحظات
التالية !

كانت تواصل الهجوم مستمتعة به .. لقد صارت سادية
هى الأخرى وعدوى التوحش تنتشر سريعاً ، لكنها
فوجئت به يعتصر بطنه فى شك وألم .. ثم هتف وهو
يستند إلى الجدار :
- (ناتاليا) !.. هناك دقات ساعة فى أمعائى !
- تراك ابتلعت ساعة ؟
- بالطبع لا .. لكن ..
ثم هتف ضارباً جبهته بيده :
- الأوغاد !.. الإصبع الذهبى قرر التخلص منى ..
لهذا لم يخبرونى أنهم استردوا الميكروفيلم منك ... إن
فى بطنى الآن قنبلة زمنية !
- وكيف ؟.. كيف وضعوها هناك ؟
- لابد أنهم دسوها لى فى كبسولات الفيتامين التى

أعطاها ليلا .. هذه الكبسولة بالذات كانت ضخمة وخيل لي أن شيئا يدق بها .. لكني - برغم ذلك - ابتلعتها .. يا للهول ! .. إنني لرجل ميت !

ثم رفع يده محييا في هستريا :

- تحياتي إلى الرفيق (كالينوف) والرفيق (سيرجي سيمانوف) والرفيق (ميخائيلوف) وكل أعضاء المخابرات .. وتحياتي إلى أمي التي أرادت أن أكون راقص باليه في (البولشوي) ..

- ومتى تنفجر هذه القنبلة ؟.. ربما ما زال الوقت مبكرا ؟

- ربما تنفجر بعد ساعات .. وربما تنفجر الآ ......

وتناثرت شظايا الانفجار في أرجاء الحجرة ، قبل أن يكمل حرف (النون) في لفظة (الآن) .....

* * *

٧ - الرنجة الحمراء ..

اقتحم (بوند) الحجرة ليجد (عبير) واقفة تتأمل الرفات في بلاهة .. كانت أجزاء الجنرال تلطخ كل شيء في الحجرة ، والدخان الأسود الكثيف يجعل الرؤية متعذرة .. لكنها كانت تعرف - بوضوح تام - اسم كل جزء تراه ، وأين كان بالضبط في الجنرال الفقيد ..

سعل (بوند) مرارًا ، ثم سألها :

- كح كح !.. هل كنت تدخنين سرًا ؟!

لم تجب لأن الكلام احتبس في حلقها .. لو فتحت فاها لتتكلم لخرجت صرخة وحشية مروعة كفيلة بإيقاظ الموتى ..

لكن (بوند) لم يحتج تفسيرات أكثر .. لقد فهم كل شيء دون عناء ..

قال لها وهو يمد يده في الرماد ليلتقط مبسم الجنرال الذهبي :

- كان هذا (تازييف) .. أليس كذلك ؟.. وأظن أن (الإصبع الذهبي) قرر التخلص منه حين لم يعد ذا نفع له .. وعلى كل .. أنا مسرور لأنه لم يؤذك .. أنت



والتقط حذاء محترقًا من الأرض ، وقربه من لفافة تبغه ليشعلها .. ثم طوح الحذاء بعيدًا ..

تعرفين - مثلما أعرف - أن (نازييف) يجيد التنخيع ..
إنه واحد من ثلاثة فى العالم هم أساتذة هذا الفن ..
أعنى أنه كان واحدًا منهم ..

والتقط حذاء محترقًا من الأرض ، وقربه من لفافة تبغه ليشعلها .. ثم طوح الحذاء بعيدًا ودس يديه فى جيبى سترته ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا ..

ثم إنه قال لها بعد تفكير :

- أعتقد أننا سنلجأ لأسلوب الـ (رد هرينج) الإنجليزى العتيق ..

أخيرًا وجدت صوتها .. فتساءلت :

- (رد هرينج) ؟

- نعم .. (الرنجة الحمراء) التى يلقونها فى طريق كلاب الصيد لتضليلها .. سنكون أنا وأنت الرنجة الحمراء التى لن يجرؤ (الإصبع الذهبى) على رفضها ....

- ماذا تعنى بالضبط ؟

* * *

اندفعت سيارة (بوند) تشق أمواج المحيط ..

وخلف عجلة القيادة جلس (بوند) مستمتعًا يدندن أحد ألحان البحرية الإنجليزية .. فى حين جلست (عبير) مكتئبة جواره ترمق الأمواج التى تشقها السيارة إلى نصفين .. وتتوقع الشر .

- ما رأيك فى (م - ١٨) ؟.. سيارتى البرمائية ؟ إن ضغطة واحدة على الزر كافية لأن تختفى العجلات داخل جسم السيارة وتبرز محركات هيدروليكية .. والجديد هنا هو أن سرعة السيارة ثابتة .. أى أنها أسرع من أسرع مركبة بحرية عرفها الناس ..

نظرت إلى لوحة القيادة .. فوجدت أن عداد السرعة قد استحال إلى بوصلة ملاحية ، بينما غدت عجلة القيادة أشبه بالعجلة الخاصة بالسفن ..

معًا يشقان طريقهما عبر أمواج المحيط قاصدين حاملة الطائرات الأمريكية (كونستيتيوشن) التى تمخر فى هذه اللحظة مياه المحيط الأطلنطى ، قرب سواحل (كندا) ..

كانت هناك أسراب من طائرات (الفانتوم) تحلق فوق رأسيهما من حين لآخر .. وهذا يعنى أنهما يقتربان ...

- (الفانتوم) هى نورس الأسطول السادس ..

قال لها (بوند) :

- وحين ترين طائرات (فانتوم) تعرفين أن هناك حاملة طائرات قريبة ، مثلما يعرف النورس أن الأرض دانية ..

ووراء السيارة - التى تحولت إلى يخت - شرع سرب من الدرافيل يتواثب هنا وهناك ... و(عبير) لم تعد تعرف ما تشعر به .. من فرط انبهار عصف بأحاسيسها .. بصعوبة تصدق أنها حقًا هنا .. وسط كل هذا السحر ..

أخرج (بوند) جهازًا دقيقًا يشبه (الراديو) ، وشرع يدير أزراره فى براعة .. وهنا رأت (عبير) الدرافيل تكوّن بأجسادها تشكيلات غير عادية .. مرة ترسم شكل النجمة .. ومرة تؤدى نوعًا من باليه الماء .. ومرة تلف جميعًا على ذيولها ..

قال (بوند) وهو يغلق الجهاز :

- هذا هو (ت - ١٧) .. الذى يخاطب الدرافيل بلغتها غير المسموعة لآذاننا .. ومن ثمّ يرغمها على أداء تشكيلات نختارها نحن ..

قالت (عبير) وهى تدلى أصابعها فى الماء :

- هل كل اختراعاتكم عبارة عن حروف لا معنى لها ورقم سخيف ؟.. منذ بدأت هذه القصة وأنا أسمع (ت - ١٧) و(د - ٢٠) و(س - ١٤) ..

- هذا هو البروتوكول ..

وفجأة فارت المياه ..

ورأت (عبير) شيئًا عملاقًا يخرج منها قاصدًا

أناملها التي تتلت في الماء .. وفي اللحظة التالية رأت رأس سمكة قرش عملاقة يخرج من بين الأمواج مكشرا عن أنيابه .. ثم يهبط إلى البحر ثانية وسط الرذاذ الذي تطاير في كل صوب ..

نظرت نحو (بوند) وقد عقد الرعب لسانها ..

- قال وهو يرسم ابتسامة اعتذار على شفتيه :

- أرى أننا أخطأنا .. دخلنا نطاق قصص (بيتر بنشلي) البحرية .. هذا هو القرش الأبيض العظيم في قصة (الفك المفترس) ، يبدو أن (كوينت) و (هوبر) يطاردانه الآن .. ، ما كان يجب أن ندخل هذا القطاع .. فاغفري لي رعونتي ..

- لا عليك .. أنا نفسي أحب هذا الجو .. وأعتقد أنني سأختاره يومًا ما ..

وعاد الصمت الذي لا يقطعه سوى صوت ارتطام الموج .. ومن بعيد لاح لهما الهيكل المهيب لحاملة الطائرات ..

* * *

على متن الحاملة استقبلهما (الميجور جنرال) (لي هارفي أندرسون) ، وهو نموذج واضح للعسكري الأمريكي كما تراه (عبير) في السينما .. نحيل ممشوق

القوام حاد النظرات .. يبدو الشعر الأشيب الملتصق بجمجمته على جانبي رأسه تحت (الكاسكيت) ..

قال وهو يصافح (بوند) بيد ككلابات الحديد :

- (بوند) مستر (جيمس بوند) .. سمعت عنك الكثير ..

ثم غمغم من بين أسنانه :

- أعرف أنك جئت لمساعدتنا في الإيقاع بهذا الـ (....) هذا .. لكن دعني أؤكد لك يا مستر (بوند) أننا في غير حاجة لتدخل البريطانيين .. أولاد الـ (.....) - في عملنا .. ماذا يعرف عميل بريطاني عن حاملات الطائرات ؟.. أعتقد يا مستر (بوند) أنك تضيع وقتك ، ولو لم تكن عندي أوامر صريحة من (البنتاجون) كي أرحب بك لسرني بكل تأكيد أن ألقي بك في البحر مع زميلتك الحسناء !.

ابتسم (بوند) ورد التحية بألعن منها :

- سيدي .. حين كان أسطول (بريطانيا) يمخر عباب البحر ، ويحكم العالم .. كان أجدادك يرقصون حول النيران حاملين الرماح .. وعلى كل حال نحن لم نأت هنا لمناقشة أينا أسوأ من الآخر .. بل هناك ضرورات يجب أن تكون في أولوياتنا ..

ودعاهما القبطان إلى النزول في المصعد .. إلى غرفة محكمة الغلق مظلمة ، لايضيء بها سوى انعكاس الضوء المنبعث من الشاشات على الوجوه الصارمة ... وعلى سلم خشبي صغير وقف ضابط شاب يحمل مؤشرًا .. وقد عكف يلصق على خريطة مرسومة على لوح زجاجي قطعًا صغيرة من البلاستيك ؛ ترمز إلى قطع الأسطول السادس ..

هتف القبطان في الرجال دون حماس :

ـ هلموا يا شباب .. حيوا (بوند) !

تعالت الأصوات في حماس حقيقي هذه المرة :

ـ عليه اللعنة !

همس (بوند) في أذن (عبير) ؛ وهو يقابل النظرات العدائية بلا مبالاة أنجلوسكونية صميمة :

ـ إن العداء بين (الإنجليز) و(الأمريكان) لن ينتهي إلا يوم الدين .. نحن نراهم مجموعة من المعتوهين الأثرياء .. وهم يروننا مجموعة من ضيقي الأفق ثقيلي الظل ..

ـ لابد أن مجيئك لمساعدتهم قد جرح كبرياءهم ..

ـ حتمًا .

وهنا قطع همسهما صياح القبطان يهيب بالضابط

الواقف على السلم ، كي يبدأ في سرد الخطة ..

قال الضابط بلهجة تقريرية باردة سريعة المقاطع :

ـ إن السفينة حاملة الطائرات (كونستيتيوشن) تتحرك على خط عرض (كذا) وطول (كذا) .. بسرعة (كذا) عقدة في الساعة .. اتجاه الريح (كذا) ... والجديد هنا هو أن (كونستيتيوشن) تلتزم سياسة (ثرثرة لاسلكية) تامة !.

في حيرة تساءلت (عبير) :

ـ تعني صمتنا لاسلكيًا ؟

ـ بل ثرثرة لاسلكية .. نحن نذيع اتجاهاتنا وإحداثياتنا على كل الموجات المعروفة وبعشر لغات ... بل وإن كل وكالات الإعلام قد أبلغت بمسارنا .. وكل الموانئ أخطرت به .. يمكن القول أن لا أحد على وجه البسيطة يجهل أن (كونستيتيوشن) المزودة بمحرك نووي توجد الآن قرب سواحل (كندا) ..

ـ قال (القبطان) وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وبدا عليه الرضا :

ـ هذا هو الطُّعم الذي لا يمكن مقاومته ..

تساءلت (عبير) بقلق :

ـ وهل سيلتقطه (الإصبع الذهبي) حقًا .

- لو لم يفعل لكان مخبولا

نظر (بوند) فى ساعته بقلق :

- عشر ساعات وتنتهى المهلة .. أرجو أن يسرع بالهجوم ..

ومن بعيد - عبر الأفق الشرقى - رأت (عبير) سربا من طائرات (الفانتوم) يحلق فوق أمواج المحيط المتلاطمة .. كانت الشمس تدنو من الغروب لتأخذ حمامها المسائى الدائم .. لهذا بدت الطائرات مجرد نقط سوداء فوق خلفية زرقاء داكنة ، ومن حين لآخر تلتمع فى وجه الشمس المحتضر

ثم دنت الطائرات ، ورأت (عبير) أولها تهبط فوق حاملة الطائرات ليتصاعد دخان الاحتكاك ، وهى تقطع الممر إلى نهايته .. فتنفتح المظلة المعلقة فى مؤخرتها .. وتبطىء سرعتها حتى تقف أخيرا .

وبعدها تأتى الطائرة الثانية .. فالثالثة .

وحوش أسطورية مجنحة تكف عن التحليق لتستريح قليلا

وشعرت (عبير) بالظفر .. وقشعريرة تغزو جلدها ..

كل هذا العالم العملاق والتجهيزات .. وكل هؤلاء الجنود .. إنما هو جزء صغير من خيالها الذى اتسع

للمحيط كل ما فيه من بوارج وأسماك قرش وجبال عائمة

إنها هى من صنع هذا العالم بكل تفاصيله

أليس الخيال معجزة ؟.. أليس هو هبة الرحمن العظمى لنا ؟

* * *

لم يطل الانتظار كثيرا .

إن مهلة الإصبع الذهبى تنتهى فى الخامسة صباحا وهذا يعنى أن ثمانية أعشار سكان هذا الكوكب لن يروا السادسة صباحا بتوقيت (مونتريال) ..

إلا أنه - فى منتصف الليل - فوجىء طاقم حاملة الطائرات بشىء غير عادى ..

إنهم يرتفعون لأعلى !..

وغادر ركاب الحاملة قمراتهم مذعورين .. منهم من يرتدى منامته ومنهم من نام بالفانلة الداخلية ، واحد فقط - هو (بوند) - غادر قمرته مرتديا ثياب السهرة وربطة العنق وقد امتشق مسدسه .. وغادرت (عبير) قمرتها وهى تحكم غلق (الروب) حول خصرها .. ورأت (بوند) فأصابتها الدهشة .

لا يبدو لها هذا الرجل ينام أو يرهق أو يصاب بالإسهال

كما يحدث لكل خلق الله .. دائمًا هو متحفز متوقد حاد الذكاء لا يفوته شيء .. ودائمًا متأنق كما لو أنه في حفل زفافه الخاص ..

هرعا إلى حاجز السفينة ، فوجدا أن الماء يبتعد .. يبتعد .. والسماء تقترب .. تقترب ..

راح البحارة يتصايحون في هلع ... وجاء القبطان من غرفته يرتدي منامة رسم عليها (ميكي ماوس) ، فهو لم يجد وقتًا لاستبدال ثيابه ، ورآه الرجال فوقفوا انتباهًا منخشبين ..

قال القبطان للضابط الأول في صرامة :

ـ سلهم ماذا يحدث هنا ؟

نظر الضابط الأول للضابط الثاني .. وسأله :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

وتوالت الأسئلة (ماذا يحدث هنا ؟) متدرجة حسب التسلسل الوظيفي للرتب .. حتى انتهى الأمر بأصغر بحار ..

ـ ماذا يحدث هنا ؟

ـ لا أدري !.. يبدو أن حاملة الطائرات قد فقدت وزنها !..

ومشى (بوند) جوار حاجز السفينة يرمق البحر من أسفل .. كان الظلام يغمر صفحة المياه .. لكنه أمر بتسليط

كشافات الـ (سبوت لايت) التي تتميز بأن ضوءها لا يتبدد مهما بعدت المسافة .. أمر بتسليطها لمسح صفحة الماء ..

وعبر شعاع الضوء المتلألئ فوق الأمواج ، رأى الرجال زورقًا يبتعد على عجل وكأن من فيه قد قاموا بمهمتهم ..

ـ أطلقوا النيران على هذا الزورق !

وشرعت كل أنواع المدفعية تهدر فوق حاملة الطائرات ، امتثالاً لأوامر القبطان .. لكن الزورق كان قد ابتعد كثيرًا ..

وهم أيضًا كانوا قد ابتعدوا كثيرًا ..

ـ فلتلحق به طائرات المطاردة !

لكن (بوند) أوقفه بحركة صارمة من يده .. وقال وهو يشعل لفافة تبغ بقداحته الذهبية :

ـ لا داعي لذلك . لقد ابتلع (الإصبع الذهبي) سمكة (الرنجة الحمراء) .. ونحن ـ يقينًا ـ نعرف أننا ذاهبون إلى رأس الأفعى .. فلم نضيع وقتنا مع الذيول ؟

..............................!

* * *



ها هي ذي حاملة الطائرات (كونستيتيوشن) تحلق في أجواز الفضاء

٨ - القاعدة ..

ها هي ذي حاملة الطائرات (كونستيتيوشن) تحلق في أجواز الفضاء ..

لا داعي لأن أحدثكم عن عبثية الموقف وسخفه بالنسبة لـ (عبير) .. إن كل شيء متوقع في مغامرة تبدأ بسيارة تقذف صواريخ (أرض - جو) .. وحذاء ثلاث .. وسيارة تسبح في الماء .. إذن ليس غريبًا أن ترى حاملة طائرات تحلق الآن فوق صحراء شمال إفريقيا ..

كانت الحياة معطلة تمامًا على ظهر الحاملة ..

وبعد الثرثرة اللاسلكية بدأ (الخرس السلكي) التام ... ماتت كل أجهزة الاتصال المعقدة على متن السفينة ... وحين حاول الطيارون أن يحلقوا بطائراتهم بحثًا عن نجدة أو عن هدف يقصفونه ، وجدوا أن طائراتهم قد تحولت لقطع خردة جميلة المنظر ..

لقد عزلوا تمامًا عن العالم الخارجي ..

لم يعودوا يرون سوى بعض رجال الطوارق يرمقونهم في دهشة من أسفل .. أو هاوي غرائب يلتقط لهم في حماس بعض الصور ... ثم إن حاملة الطائرات

عبرت البحر المتوسط بسرعة غير معقولة لتحلق فوق (أوربا) -- ثم (آسيا) ..

* * *

وقف (بوند) مستندًا إلى حاجز الحاملة - إن كان لحاملات الطائرات حاجز - يتأمل البحر .. والمرتفعات في استمتاع .

ثم إنه نظر إلى (عبير) المتكئة إلى جواره .. وقال لها وقد عاد يرمق المحيط :

- (ناتاليا) .. أنا مندهش ..

- منْ ؟

- من كونك لم تقعي صريعة غرامي بعد .. أنت أول أنثى - في عالم الإنسان والحيوان - تقاوم سحر (بوند) كل هذا الوقت ..

- هذا لأنني لا أثق بك البتة أي مستر (بوند) .. ولأنني لأعتبرك خنزيرًا جميلاً لا أكثر ..

حدق في وجهها .. وابتسم ابتسامته الواثقة .. وغمغم :

- هل تعرفين السبب ؟

- ليتك تخبرني ..

- لأنك لا تثقين بنفسك .. ولهذا لا تصدقين أن يعجب بك (بوند) .. إذن فالاحتمال الوحيد هو أنه يعبث بك ، ولهذا تفضلين أن يعجب بك رجل متراخ هادئ متوسط

الجاذبية .. فأنت قادرة على الثقة بهذا الأخير على الأقل .. ويمكنك أن تصدقيه .. إن عقلك يشعر بأنه لا يستحق مثلي .. لهذا يشمئز مني .. ويحتقرني وغدًا !.

الواقع أن في كلمات هذا الأحمق شيئًا من صواب .. إن (عبير) لم تكن ممن يثقون بأنفسهم في أية لحظة من حياتها ..

لكنها لم تصارحه بشيء وعادت ترمق الأمواج المتلاطمة ..

بعد هنيهة سألته في لا مبالاة :

- إلى أين تظننا ذاهبين أيها الفيلسوف ؟

نظر إلى ساعته .. وغمغم :

- بالطبع إلى (سيبريا) .. لقد كان حدسي صائبًا فيما يتعلق بمقر الإصبع الذهبي .. ولكم أكره أن أكون على صواب طيلة الوقت ، فأنا بطبعي خجول .. لكنها الحقيقة !..

- إذن (موهاندا) كان .. وكلمات المحتضرين .. و(شكسبير) ؟

- إن (شكسبير) لم يلق (الإصبع الذهبي) .. وعلى كل حال أراهن على أن (الإصبع) ضلل (موهاندا) بشكل ما .. أو أن (موهاندا) كان عميلاً مزدوجًا يكره

أن يموت دون أن تكون آخر كلماته كذبا .. من يدرى ؟..
لكن لماذا نستبق الأحداث ؟

ونظر إلى بعيد .. وهتف :

ـ إنها نهايتك أيها (الأصبع) !

* * *

البرد يتزايد ..

فى البدء كان الأمر محتملا .. لكن مع الوقت بدأ الجليد يتكثف على جدران وحوائط حاملة الطائرات ، وشرع هواء الزفير يتحول إلى ندف من ثلج على الشوارب واللحى ، وازرقت الشفاه وحلمات الآذان وأطراف الأنوف ..

ولم تدرك (عبير) مدى تدهور الأحوال الجوية ، إلا حين رأت خمسة رجال عاكفين على تكسير الجليد الذى غلف قبطانهم تماما .. بدءوا أولا بفتح ثغرة ليحرروا فمه .. من ثم صار بوسعهم أن يسمعوا أوامره وشتائمه .. وإبداعات لسانه السليط ، وهو يوجههم إلى ما يفعلون ..

ـ هلموا حرروا يدى يا أبناء الأبالسة !.. يا حثالة !.. يا روث الخنازير وقىء الوطاويط !!..

شرعت ترتجف .. فمد (بوند) يده ليضع على رأسها قلنسوة من الفراء وعلى كتفيها معطفا من

(الإستراخان) .. ثم ناولها مشروبا ساخنا يتصاعد الدخان منه ..

سألته فى دهشة وهى تحتضن الكوب بكفيها :

ـ من أين لك بالقلنسوة والمعطف والمشروب الساخن ؟

ـ أوه !.. إن (بوند) يجيد هذه الأشياء .. وليس بوسعك أبدا أن تعرفى من أين جاء بها ..

رشفت رشفة من الكوب ، وأحست بالسائل الساخن يذيب ثلج جوفها .. ثم قالت فى حنان :

ـ وأنت ؟.. ماذا ترتدى ؟

ـ إن (بوند) معتاد على هذه الأجواء .. كنت أسبح فى نهر (الفولجا) فى (ديسمبر) هاربا من رجالكم ..

ثم قال لها مبتسما كأنه يحدث طفلا :

ـ لا تنسى أنك ستكملين المغامرة بالمايوه !.. هذه هى تقاليد قصصى التى يجب أن تحترمها بطلاتى .. المشهد الأخير بالمايوه فى أثناء تفجير القاعدة !

ـ عليك اللعنة !!

صرخت فى غل .. وكادت تقذف المشروب فى وجهه ..

ـ أولا : لست من بطلاتك ولا أريد أن أكون ..
ثانيا : كيف بلغت بك الوقاحة أن تقول لى شيئا كهذا ؟
ثالثا : لابد أنك مخبول كى تتحدث عن مايوه فى (سيبيريا) !

هزّ رأسه في إحباط .. وأشعل لفافة تبغ ..

- يا للخسارة !.. كما ترين .. لكن هذا كان سيحقق نجاحًا جماهيريًا عظيمًا .. إن هذه الأشياء تروق للشباب .

- الشباب المنحل !..

- ليكن .. ولكن .. ماذا أرى ؟.. هل ترين ما أراه ؟!

نظرت (عبير) إلى ما يشير إليه (بوند) .. وغمغمت :

- للأسف .. أراه بوضوح تام !

* * *

كان الجبل الجليدي الذي تحلق فوقه حاملة الطائرات ينفتح ببطء شديد .. كأنه بوابة .. أو وحش أسطوري يفغر فاه ليلتهم فريسة واهنة بائسة ..

وفي هذه اللحظة بدأت الحاملة تنزلق لأسفل على مراحل متتابعة قاصدة داخل هذا الفم المفتوح ..

شرع البحارة يولولون .. ويركضون هنا وهناك .. وعمت الفوضى .. أما القبطان فدنا من (بوند) ليقول له في حسم :

- يبدو أن الحين قد حان .. إنها قاعدته ..

- بالتأكيد .. جبل جليدي من البلاستيك الأبيض .. ياللها من فكرة جهنمية تصمد أمام أي مسح جوي محتمل !.. والآن أيها القبطان .. أريد و(ناتاليا) أن تجدوا لنا

بذلتين من ثياب البحارة .. إن اختفاء فتاة ورجل يرتدي بذلة السهرة وسط هذا الجمع لأمر عسير حقًا ..

وهكذا ....

أسرع (بوند) و(ناتاليا) بارتداء ثياب البحارة .. وعقصت (ناتاليا) - أعني (عبير) - شعرها الأشقر تحت البيريه .. ثم إن (بوند) أخرج من جيبه شاربًا أشقر كثًا ألصقه فوق شفتها العليا .. لم تر داعيا لأن تسأله عن سبب حمله لشارب في جيبه

ثم إنه أخرج أنبوب دهان كتب عليه (شعر قصير ٨٠ ٪ - دهون ٢٠ ٪) ، ومسح به خديها وذقنها .. فما إن جف الدهان حتى صار وجهها مليئًا بشعر قصير خشن ، يوحي بأن ذقنها لم تحلق منذ أسبوع ..

أما (بوند) فأخرج من جيبه جرحًا يلصق بأسلوب (الستيكر) ، وقام بتثبيته على خده الأيسر .. ودس غليونًا في فمه .. وراح يترنم بأغاني البحارة البذيئة ..

- ألا ترى أنك تبالغ في التنكر نوعًا ؟!

- إنني متنكر كبحار يبالغ نوعًا .

وفي هذه اللحظات كانت الحاملة تنحدر لأسفل إلى داخل الجبل الجليدي ، الذي بدأ سقفه يلتئم ببطء مداريًا أية فتحات .. ومن الداخل رأى الرجال عالمًا أسطوريًا ..

كان هناك بحر مترامى الأطراف ، وملايين الكشافات
التى أحالت الظلام نهارا ، ومئات السقالات الفولاذية
والأسلاك والمواسير الصقيلة اللامعة ..

ورفع (بوند) عينيه فرأى صفوفا من الرجال
يرتدون جميعا زيًا موحدًا ، وكل منهم يحمل مدفعا
غريب الشكل مصوبًا إلى حاملة الطائرات ..

وحين نظر إلى الأفق رأى عددًا لا بأس به من
حاملات الطائرات تقف متلاصقة ، كلها فى هذا المحيط
الصناعى ..

همست (عبير) فى أذنه وهى تداعب شاربها :

- كيف ، ومتى بنى هذه القاعدة التى تسع كل هذه
المدن العائمة ؟

قال (بوند) وهو يضع عدستين ملتصقتين سوداوين
على مقلتيه :

- كلهم يفعلون هذا فى قصصى .. ولا أحد يتحدث أبدًا
عن كيفية الحصول على المعدات ، والمال ، والرجال
لبناء مكان كهذا .. كل ما يمكن قوله هو أن المكان
موجود .. وقد بناه الإصبع الذهبى داخل هذا الجبل
المزيف .

- ماذا يفعل بهذه الحاملات ؟

أجاب وهو يقتلع ثلاثة من أسنانه إمعانًا فى التخفى :

- لا أدرى .. لكن الملاحظ أن جميعها يعمل بمحرك ذرى ..
ربما هو يستخدم وقودها لغرض ما ..

- وكيف طرنا ؟

قال وهو يضع قرطا فى أذنه :

- هذا هو ما أتوق لمعرفته .. والآن كفى عن الأسئلة
لثرى ..

أخيرا تهبط الحاملة إلى الماء .. وترتفع الأمواج من
حولها ، على حين يرتد صوت فى المكبر :

- حاصروها تماما .. أريد رجالا فى الجهات الأربع

وعلى الفور راح الرجال ذوو الزى الموحد ينتشرون
فوق السقالات الفولاذية موجهين مدافعهم نحو الحاملة ..

- البسوا أقنعة الغاز !.

رفع كل رجل إلى أنفه قناع غاز يتدلى منه خرطوم
إلى خزان على ظهره .. فبدوا كغزاة المريخ .

ثم دوى الصوت من جديد :

- إلى قبطان (كونستيتيوشن) .. قل لرجالك أن
يستسلموا دون قيد ولا شرط ، فإن هذه الأسلحة ترش
غاز (السارين) السام ، ولن نحتاج إلى وقت طويل
قبل إبادتكم جميعا ..

نظر القبطان إلى ضباطه ، وفى حنق هتف :

- اسمعوا ما يقول ابن الـ (.....) هذا ..

من جديد دوى الصوت :

- لا بذاءات يا قبطان وإلا أثرت حنقى !

في ذهول تلفت القبطان حوله .. ثم التفت نحو (بوند) :

- لـ .. لقد سمعنى !

- بالتأكيد هو يتابع الموقف من دائرة تليفزيونية مغلقة .. كن حذرًا إذن فيما تقول وإلا سمعك ابن الـ (....) هذا كما تقول !..

مرة أخرى دوى الصوت :

- والآن بنظام .. ستخلون حاملة الطائرات .. لا تريد متخلفين عليها .. لأننا سنقوم بتفتيشها بدقة ، وسنزيل آثار من نجده بها ..

ورأى (بوند) و(عبير) جسرًا فولاذيًا ينحدر من أعلى ليسير عليه الطاقم والبحارة ، ليقودهم إلى فتحة في الجدار يحرسها رجال مدججون بالسلاح ..

وبدأت المسيرة تتحرك .. عرض الطابور ثلاثة رجال في كل مرة .. أحيانا كان أحد الأسرى يحتج أو يقاوم آسريه ، من ثم تنهال على رأسه الضربات بـ (دبشكات) البنادق .. وفي مرة أو مرتين دوى صوت طلقات نارية يليها صوت جسم يسقط في الماء .. وعلى صفحته ينتشر اللون الأحمر القاني .

كان (بوند) يضغط على أسنانه في صبر ..

هكذا يدين أبطال القصص .. لا يخافون ولكن (يغضبون) فقط ..

أما (عبير) فلم تكن بطلة ، وكانت ساقاها ترتجفان تحتها كالجيلي .. ورأت أنها إن نظرت إلى آسريها ستلفت نظرهم ، وإن تحاشت النظر إليهم ستثير ريبتهم ..

وهنا ..

- نياهاهاهاهاهاه !..

دوت الضحكة المروعة .. وخيل إلى (عبير) أنها سمعتها من قبل ، ولكن أين ؟

لقد خطر نفس الشيء لـ (بوند) لأنه رفع وجهه لأعلى بحثًا عن صاحب هذه الضحكة ..

وكان واقفًا هناك .. بلحيته المشعثة ، والخنجر الذي يخترق خديه ، وعمامته العالية ، والنظرة المنذرة بقطع الرقاب في عينيه .. يرمقهم بها حيث وقف فوق راقدة معدنية ..

كان هذا هو (راجا) سائق التاكسى المزيف !....

ارتعدت فرائص (عبير) ، ونظرت نحو (بوند) مستنجدة .. لكنه همس لها في حزم :

- ثقى بتنكرنا .. أنت لم تعودى امرأة وأنا لم أعد أنا .. إنه يحتاج إلى فراسة غير عادية كى ....

وهنا دوى صوت (راجا) الغليظ قادمًا من عل :
- هاتوا لى هذا الرجل حالاً !.
فى اللحظة التالية رآه (بوند) يشير باتجاه (عبير) ..
لكنه لم يكن واثقًا تمامًا من ذلك .. فأشار إلى نفسه :
- هل تعنينى أنا ؟!
- لا ... أيها الأحمق .. هذا الرجل .. هذا !
أشار رجل آخر إلى نفسه :
- أنا ؟
- لا ...
- إذن أنا ؟
- لا ...
ثم إن (راجا) صاح وقد نفد صبره :
- سآتى به أنا من أذنيه .. وسأطيل لقبته بسيفى !
ووثب كالقرد متعلقًا بالشقالات — معذرة أعنى السقالات — حتى وصل إلى الجسر حيث وقف (بوند) و(عبير) ..
وامتشق سيفه العملاق المرعب ورفعه فى الهواء ..
وباليد الأخرى أمسك بتلابيب (عبير) صائحًا :
- « إنه أنت ولا أحد سواك !.. أنت يا جمال ! »

* * *

٩ - دقــائق ..

لم تكن (عبير) قد فقدت بصيرتها تمامًا .. فما دام هذا البولدوزر يخاطبها بصيغة المذكر ؛ فمن المؤكد أنه لم يكتشف سرها بعد .. لهذا تظاهرت بالغباء وأظهرت الرعب ... وراحت تتطوح يمينًا ويسارًا مع ذراعه القوية قائلة بصوت رجولى :
- ماذا هناك يا رجل ؟.. أنا لم آت شرًا ..
لو أنه أطار الببريه من فوق رأسها لانكشف كل شىء .
قال (راجا) وهو يضغط على أسنانه :
- لماذا تنظر لى بهذا الفضول يا رجل ؟.. إننى إنسان خجول !.. النظرات تثير ارتباكى ..
ثم لوح بالسيف .. وهتف :
- إننى لرجل مرهف الحس !
وهنا حاولت (عبير) التملص .. فطار (الببريه) من فوق شعرها الأشقر ... وفى اللحظة التالية كان (راجا) قد مد يده ليلتزع الشارب ويرمقها فى ذهول .
- إذن فأنت ..؟
ثم نقل عينيه المتوحشتين نحو (بوند) .. وهتف :

- وأنت .. فأنت ..؟

انتزع (بوند) أثر الجرح من خده ... وهز رأسه محييًا :

- (بوند) .. (جيمس بوند) فى خدمتك يا صديقى !

إلى الخلف تراجع الرجل .. تراجع .. وصاح فى الرجال المحيطين به :

- احملوهما إلى الرئيس .. إنه ينتظرهما طازجين !

* * *

عبر أروقة هذا الوكر السرى مشوا محاطين بالحراس

كانت هناك دهاليز عديدة ، وأبواب تفتح بالبصمات الحرارية ، وكاميرات تليفزيونية للمراقبة ، ومصاعد .. وما إلى ذلك من هذا الهراء الذى يملأ مخ (عبير) --

قالت وهى تتأمل الحراس بزيهم الأزرق الموحد ، وخوذاتهم، وأحذيتهم المطاطية ، ورمز الإصبع الذهبى على صدورهم :

- من أين يجىء هؤلاء ؟ وكيف يتم تنظيمهم بهذا الأسلوب الذى يفوق نظام أكفأ الجيوش ؟ هل لهم أسر ؟ ومتى يحصلون على إجازاتهم ؟

قال (بوند) وهو يمشط شعره بمشط صغير ، ماشيًا جوارها :

- لا تسألى عنهم .. فهم فى كل قصصى .. تشعرين أنهم ولدوا فى هذا المكان .. وكلهم بلا مشاعر ولا عواطف ... على كل حال توجد قاعدة هامة .. كلما ارتدى رجال العصابة زيًا موحدًا مطاطيًا كلما كان القضاء عليهم أسهل كقتل البعوض ..

ثم نظر إلى ساعته فى سأم :

- يجب إنهاء هذه القصة ونسف القاعدة سريعًا إن لدىّ مهامّ أخرى فى (مباصى) ..

- كم بقى من وقت على المهلة ؟

- ساعتان .. لا أكثر ..

وهنا انفتح أمامهما باب فى الجدار .. وقادهما الحراس إلى قاعة ذهبية الجدران يتوسطها تمثال عملاق لإصبع مذهب يشير إلى السقف .. فى كبرياء ..

وكانت هناك بركة صغيرة تحيط بالإصبع المذهب ، تسبح بها زعانف سوداء مدببة لأسماك قرش .. تلك الزعانف المثلثة التى ارتبطت بالرعب فى الأذهان ، وكانت المياه نفسها حمراء اللون تغلى ويتصاعد منها الدخان

قال (بوند) وهو يشعل لفافة تبغ :

- (ماجما) وخمم !.. إن هذا الرجل لا يمزح .

ـ وكيف تظل أسماك القرش حية تسبح في الخضم ؟!

نظر لها (بوند) متنبهة .. ثم نفث الدخان وقال :

ـ فاتني هذا .. هو خطـأ من المؤلف دون شك .. لكنه ليس خطأ فادحا .. وفي الأغلب لن يلاحظ القراء هذا ..

في ركن القاعة توجد مائدة عملاقة .. وعلى الجدار خريطة هائلة الحجم للعالم .. بينما جلس عند طرف المائدة رجل ضئيل الحجم ، قصير شعر الرأس .. أقرب إلى الطفولة في ملامحه .. وخلفه رأت (عبير) لوحة (ديجا) إياها .. والمدفأة ..

كان هذا هو الإصبع الذهبي ...

* * *

لفترة لا بأس بها راح الرجـلان يسترجعان ـ في حنين ـ ذكرياتهما المشتركة .. كيف منع (بونـد) خصمه من الغش في لعب الورق عن طريق سماع وسماعة لاسلكية تصف أوراق خصمه .. وكيف كاد الإصبع يشطر (بوند) بأشعة (الليزر) .. وكيف غرق الإصبع في الذهب المصهور .. وكيف .. وكيف .

حتى أوشكت (عبير) أن تصاب بجنون هستيري ..

وهنا قال (بوند) لخصمه وهو يجلس إلى المائدة :

ـ لقد كانت أيامًا مجيدة أيها الإصبع !

قال الإصبع وهو يضغط على زر ليخرج له بار صغير من الجدار :

ـ إن كل أيامي مجيدة يا مستر (بونـد) .. ماذا تشرب ؟ فودكا بالصودا .. تم هزها ولم تخلط ..

آه .. نسيت .. وماذا تشرب عميلتنا السوفيتية الحسناء ؟

ضحكت (عبير) في رقة :

ـ عصير (مانجو) لو سمحت ..

قال وهو يصب المشروبين في كأسين ذهبيتين :

ـ اختيار طيب .. إن (المانجو) والبرتقال لهما لون الذهب .. وأنا أعشق الذهب .. ولأنني كذلك عدت للتعاطي من أجل جمع بعض (الفكة) .. الابتزاز هو مشروعي للمستقبل وللحاضر .. ووسيلتي لذلك هي التهديد باستعمال ...

ـ (س ـ ١٤) ..

قالها (بوند) في ملل ..

نظر له الإصبع في ذهول .. وهتف وهو يصب الزجاجات ..

ـ كيف عرفت ؟ لا أحد يعرف بأمر (س ـ ١٤) ..

يبدو لي أنتم تعرفون أكثر مما ظننت ..

ابتسم (بوند) في غموض .. أما (عبير) فكانت تذكر كلماته .. السلاح السري الذي يهدد العالم اسمه دوما هو (س ـ ١٤) سواء كان صاروخا نوويا أو قنبلة نيوترونية أو فيروسا ..

واصل الإصبع كلامه :

ـ إن (س ـ ١٤) هو نظام نووي متقدم صنعه لي علماء كثيرون من (روسيا) و(أمريكا) .. وهذا النظام قادر على تفجير نصف الكرة الأرضية وتشويه نصفها الآخر خلال عشر ثوان من استعماله .. لكن كانت هناك مشكلة دائمة ..

ـ (البلوتنيوم) ..

قالها (بوند) ملحًا ـ كالعادة ـ على كونه يعرف كل شيء ..

في توقير رفع (الإصبع الذهبي) كأسه .. وهتف :

ـ هذا هو (بوند) العظيم .. نعم .. (البلوتنيوم) .. تلك هي المشكلة الحقيقية ... ولم تكن ثمة وسيلة للحصول عليه سوى سرقة حاملات الطائرات ذات المحركات النووية .. إن كل حاملة تضيف إلى قرني أطنانًا من (البلوتنيوم) .

مالت (عبير) على أذن (بوند) وهمست :

ـ هل حاملات الطائرات مصدر غني بـ (البلوتنيوم) حقًا ؟.

همس (بوند) بدوره :

ـ لا عليك .. إن الدقة العلمية لم تكن قط من صفات (إيان فلمنج) حتى (هتشكوك) نفسه في أحد أفلامه جعل العصابة تهرب (اليورانيوم) في علب الطعام المحفوظ برغم علمه أن هذا مستحيل ، لكنه من أجل التشويق تجاهل هذا عمدًا ..

ـ فيم تتهامسان يا مستر (بوند) ؟

تساءل الإصبع في هدوء .. فأجابه (بوند) بثقة :

ـ في التقضاء عليك طبعا ..

ـ إذن احلما كما تريدان .. فلا ضريبة على الأحلام .

ثم عاد يواصل تفاخره :

ـ أما عن أسلوب الاختطاف فبسيط جدًا .. إذ يتسلل أحد زوارقي ليلا ليلصق بجسم حاملة الطائرات جهازًا كهذا ..

ومد يده يريهما جهازًا في حجم الراديو الترانزستور .

ـ وهذا الجهاز يلغي تأثير الجاذبية على حاملة الطائرات ، فترتفع لأعلى .. ثم يبدأ الجهاز في إطلاق



هذه المرة وجد (بوند) نفسه يتدلى معلقا بحبل

دفقات هوائية واهنة لكنها كافية لتوجيه الحاملة إلى حيث أريد أنا .. حين يفقد الجبل وزنه يمكن لطفل رضيع أن ينقله إلى أى مكان ..

كانت (عبير) تصرخ .. إن المسألة (واسعة شوية) ، ثم رأت أن كلا الرجلين سيطالبها بإلقاء عقلها لأنها فى (فانتازيا) .. لهذا آثرت الصمت ..

ونظر الإصبع الذهبى إلى ساعته .. وهتف :

ـ لم يستجب الحمقى لأوامرى ولم يرسلوا الـ ٩٢٤٦ مليارًا إلى الفضاء الخارجى ، وهذا معناه أن الوقت قد حان لتنفيذ تهديدى ..

لقد بقيت لهم عشر دقائق على كل حال ، ويمكننا الاستفادة منها فى التخلص من ضيوف غير مرغوب فيهم ..

وأشار إلى الحراس .. ثم إلى (بوند) إشارة ذات معنى ..

* * *

هذه المرة وجد (بوند) نفسه يتدلى معلقًا بحبل .. والحبل معلق فوق النافورة إياها الملأى بأسماك القرش والحمم ..

وكانت هناك آلات شديدة التعقيد تحيط به فى كل

مكان .. وجاء الإصبع الذهبي يشير بمؤشر إلى أجزاء هذا النظام المركب ، وقد بدا عليه الطرب من موهبته الابتكارية :

ـ في البداية يا مستر (بوند) ستحترق هذه الشمعة عن آخرها .. وعندئذ يخف وزنها فترتفع . هكذا .. من ثم ترتفع كفة الميزان التي ثبتت عليها .. تلمس الكفة هذا الزر فينسكب الحمض على هذا الملح القلوى .. يتصاعد غاز (ثاني أكسيد الكبريت) ليملأ هذا البالون .. عندئذ يتمدد البالون ويجذب هذا الحبل .. هل تراه ؟

عندئذ يجذب الحبل بدوره زناد البندقية .. تخرج من البندقية رصاصة لتضرب هذا الملف الكهربي .. بالتالي ـ وهذا طبيعي ـ تنقطع الكهرباء في الدائرة ويتعطل المغناطيس الذي يرفع هذا الثقل ... ويهوى الثقل فوق زجاجة تحوى فلز (الصوديوم) .. إن هذا الفلز يحترق عند ملامسة الهواء .. فما إن يحترق حتى يحرق بدوره ذيل هذا الفأر الصغير .. فيثب الفأر لأعلى .. فتتدحرج كرة من فوق هذا المنحدر لتضرب هذا الزنبرك .. وقتها يتحرر وتر السهم .. وينطلق السهم ليمزق الحبل الذي أنت معلق به .. لتسقط في هذه البركة

وتوقف ليلتقط أنفاسه المبهورة .. ثم أردف :

ـ .. وتموت يا مستر (بوند) !!

تنحنح (بوند) وهو معلق كالثريا في طرف الحبل .

ـ معذرة .. هل مات كثيرون بهذا الأسلوب من قبل ؟

ـ عشرات ماتوا به .. وإن كان أكثرهم قد ماتوا بفعل الملل أو الشيخوخة .. لكنني أضفت بعض الإصلاحات من أجلك خصيصًا ..

سألته (عبير) محنقة :

ـ لماذا لا تطلق الرصاص عليه وينتهي الأمر ؟.. إنه يظلت دائمًا من أساليب الموت البطيء هذه ..

ـ لا يمكن .. إن القتل السريع قط لا يثير الخيال . لابد من التوتر .. التوتر الذي يجعل القارئ يجلس على طرف مقعده ..

تثاءبت .. وقالت :

ـ لقد بدأ المثل يقتلني حقًا ..

مد يده يمسك بمعصمها ، وقال لها بلهجة إغراء :

ـ ستعرفين الآن أنه لا ملل في حياتي ..

ورفع عقيرته صائحًا ليسمعه (بوند) :

والآن يا مستر (بوند) .. وداعًا .. أراك في الجحيم !

ويبدو لا تهتز أشعل الشمعة .....

* * *

١٠ - دقائق أقل ..

ما إن ابتعد (الإصبع الذهبي) وأسيرته حتى قادها إلى غرفة صغيرة بها مائدة .. عليها شمعدان من ذهب .. وكأسان .. ودلو به زجاجة .. وفي جو الغرفة ذات الإضاءة الخافتة راحت موسيقا رقيقة تعزف .. ودنا ذلك الهندي المتنحي - (راجا) - من المائدة ليقف جوارها يعزف ألحانًا شاعرية على كمان صغير أمسكه بدقته ..

نظرت (عبير) في وجل إلى كل هذا .. وإلى العازف الذي يقف جوارهما يرمقهما بنظرات نارية .. وتساءلت :

- ما هذا الذي يجري ؟

أمسك (الإصبع الذهبي) بأناملها ولثمها :

- إنني إنسان شاعري ورومانسي في الحقيقة يا مس (أولجانوفا) .. ولا تدعي نفسك تنخدعين بالسمعة التي يطلقونها حولي .. أنا لست بالقسوة التي يزعمونها .

ثم رفع عينيه بصرامة نحو (راجا) :

- هذه النغمة نشاز يا (راجا) !

ارتجف العملاق .. وقال متلعثمًا :

- ... معذرة يا سيدي .. حسبتك لـ .. لحيني وترًا !

ابتسم (الإصبع الذهبي) وصب شيئًا في الكأسين ، وهو لا يرفع عينيه عن (عبير) .. ثم غمغم برقة :

- حتى (راجا) هو إنسان رقيق خجول إلى حد لا يوصف .. وكدأب الخجولين يحاول أن يتهمك في عمل ما لينسى حياءه المفرط .. مثلاً (راجا) يقطع الرقاب ليتغلب على خجله المحض هذا ..

ثم انحنى فوق المائدة ليدنو منها أكثر .. وقال :

- والآن - يا مس (أولجانوفا) - أعتقد أننا سنحقق الكثير بتعاوننا .. إن عميلة الـ (كي . جي . بي) الجميلة الذكية تعرف متى وكيف يكون القتال غير ذي جدوى .. عليك أن تختاري المعسكر الأقوى ، واعلمي أنه لا حلول وسطًا مع (الإصبع الذهبي) .. من ليس معي هو ضدي .. ماذا تقولين ؟

كانت إجابتها بليغة جدًا ومختصرة ..

رفعت الكأس الذي ناولها إياه - وكان يحوي مادة بيضاء غامضة - وقذفت محتواه في وجهه

حقًا هي تخشاه كثيرًا .. لكن أسلوبه الثعباني في إغرائها جعلها أقرب إلى الغضب منها إلى الخوف ..

أخرج منديلاً حريريًا مسح به وجهه في تؤدة ..

ثم قال ، وهو ينظر إلى (راجا) :

- أخشى أن أوان التعاون قد فات .. لقد وصلنى ردك كاملا غير منقوص .. ولم يعد أمامى حل سوى (واجا) ،

رمى العملاق الكمين أرضا .. وأخرج سيفه الهندى البتار .. حين رأته (عبير) أدركت لماذا كان شعراء العرب الغابرون يصفون السيف بـ (المهنّد) أو (الهندى) أو (أبيض الهند) ..

من الواضح أن لهؤلاء الهنود باعا طويلا فى صنع السيوف .. هذا السيف لا يحتاج لقوة من أى نوع كى يطير الرقاب ، ولو أن بعوضة حطت على حده لانشطرت إلى نصفين .. حتى لو كانت بعوضة مصابة بالهزال ..

وهنا ظهر (بوند) حاملاً مدفعه ..

* * *

- مستحيل هذا !.. أنت ميت !

قال (بوند) ، وهو يشير لـ (عبير) كى تلحق به ، وتحتمى وراءه كما يحدث فى كل أفلامه ، ويرفع بيده الحرة الكأس التى كانت على المائدة :

- إن الأشباح لا تحمل المدافع يا إصبع ..

- وكيف تخلصت من أسرك ؟

- ولماذا أخبرك ؟.. لعلك مكرر القطة مرتين .. ، والآن .. هيا أوقف عمل (س - ١١) هذا حالا ..

- مستحيل !

واندفع جاريا مغادرا الغرفة .. فأطلق (بوند) طلقتين تحذيريتين اصطدمتا بحلق الباب .. ثم جذب الفتاة من يدها وهرع يحاول اللحاق بعدوه .. غير عابئ بالهندى الذى لوّح بسيفه وخرج وراءهما ..

وهنا دوى صوت آلى بارد :

- ثلاث دقائق على الكارثة !

خرج (بوند) ملهوفًا إلى القاعة التى كان مقيدًا بها من ثوان ، فوجد (الإصبع الذهبى) عاكفا على ضغط مجموعة من الأزرار على الجدار .. وشرعت نقاط حمراء تضىء على الخريطة العملاقة : (موسكو - واشنجتون - لندن - باريس - القاهرة - إسلام آباد - ماناجوا - ليما - بوخارست) .. إلخ ..

- دقيقتان على الكارثة !..

أطلق (بوند) دفعة من سلاحه على النقاط الحمراء ، وعلى الأزرار ، وعلى كل شىء تقريبا .. فانفجر كل هذا وتصاعد الدخان واللهب .. لكن (الإصبع الذهبى) صاح :

- يا لك من أحمق !.. كانت هذه الأزرار هى أملك الأخير لوقف ما يحدث .. أما الآن .. فلا جدوى !

وانفجر يضحك .. يضحك ....

دون كلمة أخرى هرع (بوند) إلى الرجل ، ورفعه من ياقة بدلته .. واتجه به إلى .. إلى بركة الحمم ..

صاح (الإصبع الذهبى) ، وهو يحاول التملص :

- إنك لن تستطيع أن .. لا يمكن .....

- قل لى سببًا واحدًا يمنعنى من ذلك !.

وألقى به فى البركـة .. ففـار الماء .. وارتفعت زعانف أسماك القرش .. ودوت صرخة مروعة .. ثم خرج رأس (الإصبع الذهبى) من الماء ليقول فى غل :

- سنلتقى ثانية يا (بوند) !.. لا تصدق الظواهر ..

أشعل (بوند) لفافة تبغ .. وانحنى ليضعها فى فم (الإصبع الذهبى) بمودة .. وأشعل لفافة أخرى لنفسه ، وقال :

- أعرف أنك ستعود .. يعلم الله كيف ستنجو من القروش ومن الحمم .. لكنك حتمًا عائد ..

ثم إنه ركل الرأس .. فصرخ هذا صرخة أخيرة ، وهوى إلى الأعماق ..

....

فى اللحظة ذاتها اقتحم (واجا) الحجرة ، وقد سمع صرخة سيده ..

فتوترت ملامحه .. ورفع السيف وراح يدور به حول

رأسه فى دورات سريعة .. وعلى وجهه أمارات الجنون .

- ستقطعان الشمع حالا !.

قال (بوند) لـ (عبير) ، وهو يناولها سلاحه :

هذا هو البروتوكول .. الحارس الشخصى للزعيم يكون أكثر ضراوة من الزعيم نفسه .. والآن انتظرينى هنا حتى أفرغ منه .. لا داعى للسلاح فأنا بحاجة للتمرين !..

وهرع نحو العملاق الهندى ، فتحاشى بضع ضربات قاتلة بالسيف عن طريق الانحناء .. والتمرغ فى الأرض .. ثم ركل العملاق فى قصبة ساقه ، فأن هذا ألمًا .

واصل (بوند) قتال الرجل .. لكن الرجل لم يكن خصمًا هينًا .. وطال الأمر أكثر من اللازم ..

- دقيقة على الكارثة !. سيبدأ العد من الآن بالثانية !

فى النهاية أمسك (واجا) عنق (بوند) بيد واحدة ورفعه إلى أعلى ، وقد ارتسمت الوحشية المسعودة على سحنته ..

ثم مد ذراعه للوراء كى يكسب السيف قوة اندفاع عظمى ..

صرخت (عبير) .. وتوتر (بوند) .. وضحك (واجا) ..

لكن (بوند) مد يده وانتزع الخنجر - خنجر (المسبخ) إياه - من حذاء (راجا) .. وقابضًا على الخنجر أولجه في عنق الرجل ..

تراخت يد الرجل وترك (بوند) يسقط أرضًا .. ثم ترنح .. وهوى على الأرض في بركة من دماء ..

لكنه كالعادة كان يملك ما يقوله قبل الوفاة :

- أسرعا .. غرفة التوليد .. الزر (شين - ١١) .. وداعًا !

نهض (بوند) وتأمل الجثة في فخر باعتبار ما قام به كان عملاً خلاقًا .. ثم نظر لـ (عبير) ، وصاح :

- هلمي إلى غرفة التوليد !

- ولكن أين هي ؟

ياله من سؤال !.. غرفة التوليد تقع دائمًا في نهاية الممر الموجود بالطابق السفلي .. هكذا القصص دائمًا !

وانطلقا عبر الممرات باحثين عن سلالم يرقيانها ، أو ينزلان فيها إلى أسفل ..

بالطبع اعترض طريقهما مئات الحراس ذوي الزي الموحد ..

لكن هؤلاء كانوا بالفعل إلى البعوض أقرب .. بضع ركلات من (عبير) ، أو رصاصة واحدة من (بوند) كانت في الغالب كافية لقتل خمسين حارسًا في المرة ..

وعرفت (عبير) سر قوة (بوند) .. إنه الرجل الذي إذا أطلق طلقة واحدة صرع عشرين رجلا .. أما إذا حاول عشرون رجلا أن يفرغوا بنادقهم فيه ، فإنه لاتصيبه طلقة واحدة ..

وصوت القنبلة يتردد :

- خمسون ثانية على الكارثة .. أربعون ثانية على الكارثة !..

أخرج (بوند) شيئا من جيبه .. كان هذا هو الكأس التي كان (الإصبع الذهبي) يشرب منها ... ومرر قلمه على زجاج الكأس لحظة ، وفي الحال خرج قفاز مطاطي ملفوف على نفسه من مؤخرة القلم ..

وارتداه (بوند) على عجل :

- هذا هو (هـ - ١٢) .. اختراعنا لسرقة بصمات اليد .. إن هذا القفاز هو نسخة من كف (الإصبع الذهبي) ..

أخيرًا كان هناك باب موصد كتب عليه (غرفة التوليد) ..

وجوار الباب قفل إشعاعي يعمل ببصمات اليد ..

وضع (بوند) كفه على شاشة القفل ، فعبرها شعاع يمسح بالطول كف الرجل .. ثم دوى صوت إلكتروني ..

ـ البصمات متطابقة .. الشفرة لو سمحت !
دون تردد قال (بوند) :
ـ نمر .. نمر !..
في الحال انفتح الباب .. ودخلا ..
سألته (عبير) في حيرة :
ـ البصمات فهمناها .. ولكن كيف عرفت الشفرة ؟
كل الشفرات تتشابه .. دائمًا تكون : نمر .. نمر .. ،
أو : بكاء الكمان في الخريف يثير الشجن في قلبي ،
أو : ماري عندها حمل صغير !.. لا يوجد تنوع كثير
في هذا النوع من القصص .. وعلى كل حال لا يحتمل
الموقف أن أضيع الوقت في استنتاج الشفرة !..
كانت هناك مئات الأزرار .. وعلى الشاشات رأت
(عبير) منظرًا مرعب الشكل موجهًا للسماء .. واضح
أن هذا هو (س ـ ١١) الرهيب ..
ـ ثلاثون ثانية على الكارثة .. عشرون ثانية على
الكارثة !
جلس (بوند) مسترخيًا .. وأشعل لفافة تبغ وراح
يتأمل المفاتيح في هدوء ..
صرخت (عبير) بجنون :
ـ لا وقت لهذا !.. افعل شيئًا !..

ـ مازالت أمامنا فسحة من الوقت .. يجب أن أنقذ
الموقف في الثانية الأخيرة حتى أشوق القراء ...
يسمون هذا بـ (أسلوب جريفث في الإنقاذ على آخر
لحظة !)(*)
ودوّى الصوت من جديد :
ـ عشر ثوان على الكارثة !
وضع (بوند) لفافة التبغ في فمه .. وغمغم في
ملل :
ـ حان الوقت إذن ....
ومدّ أصابعه يعابث أزرار الأجهزة بسرعة لامعقولة.
ـ خمس ثوان على الكارثة !
ـ هكذا .. نغلق هذا الصمام .. ونقطع هذه الدائرة ..
ونفتح هذه المضخة .. وهوذا الزر (س ـ ١١) ليس
(ثر) بل (س) !
ـ ثانيتان على الكارثة !
ـ والآن .. تضغط هذا الزر !

(*) (جريفث) المخرج السينمائي الأمريكي مؤسس (هوليوود) ، أول من ابتكر أسلوب (الإنقاذ في آخر لحظة) الشهير .. البطلة مقيدة على قضبان القطار .. القطار قادم .. ثم يظهر البطل لينقذها قبل أن يحولها القطار بثانية

ودوى الصوت من جديد :
تم إجهاض الكارثة !..

نظر (بوند) إلى (عبير) وابتسم .. وهي أيضًا للمرة الأولى شعرت بأنها لا تستطيع أن تكرهه إلى هذا الحد .

وفجأة دوى صوت صراخ وانفجارات في الخارج .. وارتجت القاعدة ..

- ما هذا ؟

قال (بوند) ، وهو يتشمم أناملها :

- الانفجار النهائي .. هذا حتمي في نهاية قصصي.. ينفجر كل شيء وتزول القاعدة من على وجه الأرض ..

- إذن .. نفر الآن !

نظر وراء كتفها ، وهز رأسه في إحباط :

- سأفعل ذلك وحدي .. لأن هناك من جاء يصطحبك .. لقد انتهت مغامرتك ..

نظرت إلى الوراء فوجدت (المرشد) واقفًا يداعب قلمه الجاف .. ويبتسم .. وفي كياسة قال لها :

- ودعي المستر (بوند) ولنرحل قبل أن تنفجر القاعدة كلها !

نظرت إلى (بوند) . وابتسمت ابتسامة ذات معنى ..

قال لها ، وهو ينهض ليقف أمامها :

- في العادة تنتهي قصصي بقبلة للبطلة .. لكنني أعرف تحفظك وتربيتك الشرقية .. لهذا أكتفي بالمصافحة ، وأقول لك إنني استمتعت بكل لحظة من هذه المغامرة .. وأرجو أن تعودي لي من جديد في مغامرة غير مسبوقة ..

- وداعًا مستر (بوند) ..

- وداعًا ...

* * *

وإذ خرجت مع (المرشد) إلى الهواء الطلق متجهين إلى قطار (فانتازيا) ، أدركت أنها عادت إلى ثيابها القديمة وحجمها المعهود .. فتنهدت .. هذا هو الواقع وعليها أن تقبله ..

وغمغمت بشيء .. فسألها (المرشد) :

- هل تحدثين نفسك ؟

- لا .. كنت أود لو سألته عن الطريقة التي حرر بها نفسه من شرك (الإصبع الذهبي) .. لكن لا يهم .. بالتأكيد سيقول لي إنه استعمل (ر - ٨) أو (ع - ٣) أو أي شيء من هذا القبيل !...

....

* * *

خاتمة

حين عادت (عبير) إلى عالم الواقع ، أدركت أن الحلم قد استغرق ساعتين ..

وكالعادة شاهدت مع (شريف) عرضًا بالفيديو لمغامرتها هذه ، وقالت له ، وهي تتأمل (بوند) على الشاشة :

- الحق أنه ظريف .. وليس من السهل مقاومة سحره .

- لا تدعيني أغار من بطل قصصي ..

ثم أردف ، وهو يغلق (الفيديو) :

- كل مغامرات (بوند) فائقة التسلية .. إلا أنها خبيثة وبها نزعة عنصرية لا تخفى على أحد .. وفيها تمجيد أسطوري للمخابرات البريطانية ، ولعب على عواطف الرجل العادي الذي لا تعجب به النساء .. ولا مغامرات في حياته سوى ركوب الحافلة ذاهبًا إلى عمله ..

قالت باسمة :

- إن ركوب الحافلة لمغامرة مريعة حقًا !

أضاف (شريف) :

- كذلك تفتقر قصص (بوند) إلى (الدافع السردي) . لا توجد سوى قصة واهية تحاول ربط عدد من المشاهد المثيرة لمطاردات وصراعات ومآزق .. لا تشعرين أن كل هذا ضروري يمليه الحدث ، لكنها مشاهد ملفقة تم اختراع قصة لها ..

قالت له وهي ترتدي حذاءها الذي خلعته قبل الجلوس إلى (دي - جي - ٢) :

- لاحظت كذلك لمسة من التهكم والسخرية في كل شيء ..

قال لها ، وهو يغلق الأجهزة :

- هذه هي سمة هذا النوع من القصص .. المبالغة التي تصل إلى حد القول إن كل هذا غير حقيقي تمامًا .. وهي سمة عامة كذلك في كل القصص المصورة .. لهذا يسمونها (كوميكس) أي (هزليات) .. يجب أن يكون هناك جو عام من الاستخفاف في القصة ..

ثم أضاف :

- تجدين هذه السمة ، وإن كانت أقل جاذبية - في قصص (القديس) لـ (لسلي تشارتريس) و (ايبابوليك) .. وربما (رو كامبول) ..

ـ لا أعـرف كل هذه الأسمـــاء .. كل مـا يعنيني أن تكون ممتعة .

نظر لساعته .. وغمغم :

ـ والآن حان ميعاد الرحيل ..

ـ والمرة القادمة ؟.

ـ لن تكون هناك مرة قادمة !

* * *

لكن (عبيـر) تعرف ـ كما نعرف نحـن ـ أن هنـاك مرارا قادمة ، و(جالا كيتكا) كانت تنتظر .. بعكوكتها وسلن فضالها ، وكائناتهـا المروعة .. (جـالا كيتكـا) حيث (الليزر) هو القانون .. وحيث الموت هو اسم اللعبة ....

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٥٢٦٦
الرقم الدولي ٥ — ٢٦٥ — ٢٦٠ — ٩٧٧



مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب



اسمه هو (بوند) .. (جيمس بوند) .. إنه يسحقهم .. يقتلهم .. يصرعهم .. صحيح أنه مستفز .. صحيح أنه غير معقول .. صحيح أنه يعرف كل شيء .. ، لكنه ممل ولا أحد ينكر ذلك .. ، واليوم نخوض مغامرة جديدة تحمل الطابع الذي لا يمحى للعميل البريطاني (007) .. فلا تدعوها تفتكم ...


د. أحمد خالد توفيق

الثمن في مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع